النبيّ والرَّسول في فكر إخوان الصفا وخلّان الوفا دراســـــــــة كلاميـــــة

عبد الله محمد كريم[١]

[١] قسم مبادئ الدين، كلية العلوم الإسلامية، جامعة السليمانية، اقليم كوردستان، العراق

المستخلص

النبي والرسول في فكر إخوان الصفا وخلان الوفاء دراسة كلامية، يتبنت فيه أفكار ومعتقدات إخوان الصفا من خلال رسائلهم الاثنتين وخمسين المنسوبة إليهم، فقمت بدراسة أفكارهم وحللتها تحليلاً علمياً بدون تعصب، ويتكون بحثي من مقدمة ومبحثين، والمقدمة فيها بيان لهذه الجماعة والتعريف بهم، وبرسائلهم، واختلاف الناس في الطعن بهم، وفي المدح لهم، إذ كان العالم الإسلامي يعيش في فوضى واضطراب وقت نشأتهم وتكوينهم، وذكرت أقوال العلماء في أسماء من كتب هذه الرسائل من جماعة إخوان الصفا، ثمّ ذكرت أقوالهم في معنى النبي والرسول عن طريق رسائلهم، وكلا المعنيين واحد عندهم، فهما: أي النبي والرسول لفظان مختلفان لفظاً متحدان معناً، ويتبنت أيضاً آراءهم في صفات الأنبياء عليهم الصلاة السلام، الصفات الخَلقية، والصفات الخُلقية، والنبوة عندهم غير منتهية، بل هي مستمرّة ودائمة. وفي دراسة معتقد إخوان الصفا في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بينت فيه أنّ الأنبياء عندهم غير محصورين في عدد، ولا يؤمنون بأنَّ الوحي ينزل عليهم، بل كلّ إنسان صالح وفيلسوف فهو نبي عندهم، لأنّهم لا يؤمنون بالملائكة، ولا بالوحي ولا بالجنّ والشياطين، بل لا يؤمنون باليوم الآخر، ثمّ ذكرت في المطلب الثاني بياناً للعقيدة الصحيحة التي جاء بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، حتى يكون ردّاً على شبهاتهم، وبياناً لما يوافق القرآن والسنة النبويّة

مفاتيح الكلمات: اخوان الصفا، خلان الوفا، الرسول، الرسائل، الحكمة

١. المقدمة

قبل أنْ نصوّر صورة واضحة جليّة تُعينُنا وترشدنا على تفهّم مبادئ إخوان الصفا وأفكارهم في مفهوم النبيّ والرسول عندهم، وصِلتهم بالحركات الباطنية التي ظهرت في العالم الإسلامي، لابّد لنا من إلقاء نظرة دقيقة شاملة على رسائلهم الاثنتين والخمسين المسمّاة بـ (رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا)، وهي رسائل في أنواع الحكمة الأولى، ورتّبوها مقالات عدّتها إحدى وخمسون مقالة، خمسون منها في خمسين نوعاً من الحكمة، والمقالة الحادية والخمسون جامعة لأنواع المقالات على طريق الاختصار والإيجاز، وهي مقالات مشوقات غير مستقصاة، ولا ظاهرة الأدلة والاجتماع، وكانت للتنبيه والإيحاء إلى المقصود الذي يحصل عليه الطالب لنوع من أنواع الحكمة.

وهذه الرسائل من المصادر العلمية الوحيدة لهم، ولم يصنّفوا سوى هذه الرسائل الجامعة فقط، وبقية ما صنفوا فُقِدت، أو لا يدري بها أحدٌ، ولهذا لا ننظر في مفهوم النبيّ والرسول عندهم إلا عن طريق هذه الرسائل، ويذكر مصطفى غالب: أنّ هذه الجماعة لهم كتب أخرى أشاروا إليها في الرسالة الجامعة التي صنّفها إمامهم المستور أحمد بن عبد الله،

وهي:

١. المدارس الأربع.
٢. الكتب السبعة.
٣. الجفران.
٤. الرسائل الخمس والعشرون.
٥. الرسائل الاثنتان والخمسون.

مجلة جامعة كويه للعلوم الانسانية و الاجتماعية
المجلد ٢، العدد ١ (٢٠١٩).
أُستلم البحث في ٥ اذار ٢٠١٨؛ قُبل في ١٧ آب ٢٠١٨ ورقة بحث منتظمة: نُشرت في ١٤ آيار ٢٠١٩
البريد الإلكتروني للمؤلف: abdullah.karim@univsul.edu.iq
حقوق الطبع والنشر © ٢٠١٩ **أ.م. د. عبد الله محمد كريم**. هذه مقالة الوصول اليها مفتوح موزعة تحت رخصة المشاع الإبداعي النسبية - CC BY-NC-ND ٤.٠

Original Article | doi: 10.14500/kujhss.v2n1y2019.pp84-97

٦. الرسالة الجامعة. (غالب، ١٩٧٩م، ٣٠).

ومنذ ظهور هذه الجماعة في البصرة في منتصف القرن الرابع الهجري، وحتى عصرنا الحاضر وجّه علماؤنا الاهتمام لهذه الجماعة الباطنية عن طريق هذه الرسائل، وبيّنوا أباطيلهم المزخرفة، وحقيقتهم الباطلة، ومذهبهم المنحرف، ودورهم الباطني في الحياة الفكرية، سالكين في أبحاثهم سبيل الإنصاف، وعالجوا المواضيع الباطنية السريّة فيها التي تمرّ بالرموز والإشارات والمصطلحات من الأمور المعقدة المستعصية التي يجب بحثها ومعالجتها بتجرد ونزاهة، في ضوء الأدلة الشرعية، والحجج المنطقية، لأنّ هذه الرسائل تعدُّ الحجر الأساس للفلسفة الإسماعلية، ومرتكز دعائمها.

كما أنّ المستشرقين قاموا بدراسة هذه الجماعة، وترجموها إلى اللغات الألمانية، والإنكليزية، والفرنسية، والروسية، وشرحوها، وبيّنوا مرادهم في رسائلهم أمثال Thomason ـ توماسون ـ الإنكلزي، و Noork ـ نوورك ـ باللغة الألمانية في سنة ١٨٣٧م، وللمستشرق Ditrisy ـــ ديتريسي ـــ كتابان حول إخوان الصفا صُدرا في عام ١٨٧٩م، وعام ١٨٨٦م، ودراسة موجزة لهذه الجماعة للمستشرق Koldisehr ـــ كولدزيهر ـــ نشرها في Hal (هال) بألمانيا في سنة ١٨٨٨م، وكتاب للمستشرق Barbit Dminard ـــ باربيت دمينارد ـــ في عام ١٨٩١م، وترجم Waimar ـ ويمر ـ بعض هذه الرسائل في عام ١٩٠٣م، وتناول البحث والدراسة لهذه الجماعة الباطنية Cazanofa ـــ كازانوفا ـــ في سنة ١٩١٥م، ـــ Lwis Masnieon لويس ماسنيون ـــ الفرنسي سنة ١٩٢٩م، وهناك أشخاص أخرى من المستشرقين أمثال: Ivanof إيفانوف الروسي، و Tritonتريتون، و Bernard Lwis برنارد لويس، و Strin ستيرن، و Dasasi Cooyard كويارد دساسي، و Niklson نيكلسون، Van Aisفان أيس، و Shtrotman شتروطمن، وغيرهم تكلموا وكتبوا عن هذه الجماعة. (غالب، ١٩٧٩م، ١٦ ـ ١٧).

وعندما ننظر إلى ما كُتِبَ حول إخوان الصفا، فالباحثون لهذه الجماعة والذين كتبوا حولهم انقسموا إلى قسمين:

القسم الأول:

الكتاب من دعاة الإسماعلية الباطنية الملاحدة: نظروا إليهم نظرة إعجاب وتقدير، وأنّهم حسب قولهم:

هيئة علمية وأخلاقية تتعاون على نشر الثقافة العالمية من إلهيات ورياضيات وطبيعيات وأخلاقيات بأسلوب أدبي سَلِسٍ لكي يتذوقه الخاصة، ولا يعسر فهمه على العامة، وتعاهدوا على المحبة، واجتمعوا على الإخلاص والفدائية، ولذا فقد أطلقوا على جماعتهم اسم (إخوان الصفا وخلان الوفاء)، وقاموا في عملهم هذا بالدراسة الصحيحة الوافية في ضوء الحقيقة والواقع العقلي والتجرد العلمي، ناهجين النهج الحديث في البحث والتنقيب لمعرفة العلل والأسباب التي اشتركت وتضافرت على تكوين عقلية هذه الجماعة، وتحديد أهدافها مبتعدين عن العاطفة والتعصب، لأنّ جماعة إخوان الصفا رواد فكر، ودعاة إصلاح، فمن المعجبين بهم أمثال: عمر الدسوقي، وحسين همداني، وجبور عبدالنور، وعمر فروخ، وعبدالحميد الدجيلي، وعادل العوا، عبداللطيف الطيباوي، وعارف تامر، ومحمد كامل حسين، ومصطفي غالب، بل يقول هذا الأخير:

(لابّد لنا من الاعتراف بأنّ إخوان الصفا وخلاّن الوفا ليست سوى مجموعة من المفكرين، وصفوة مختارة من الفلاسفة وجمابذة العلماء، حشدوا كلّ إمكاناتهم الفكرية والفلسفية للقضاء على الدولة العباسية، ليشيدوا على أنقاضها دولة جديدة، دولة أهل الخير، ذات نظام اجتماعي روحاني سليم، يهدف إلى إيجاد مذهب اجتماعي، وأخوية فلسفية دينية إسلامية، وتأليف كتلة إسلامية، قوية موحدة الأهداف والكلمة). (غالب، ١٩٧٩م، الوجه الأخير للكتاب).

القسم الثاني:

ينظرون إليهم نظرة شك وعداء، وذلك عن طريق النظر إلى هذه الرسائل التي ألفوها والمسمّاة بـ رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ـ نجد بأنّها كتبت لهدم الشريعة الغراء، وتشكيك الناس في العقيدة الصحيحة، ولذلك صنفوهم في صف المعادين لدين الله تعالى، وفي نظري إنّ هذا الرأي هو الحق والصواب، وذلك لسببين:

السبب الأول:

هم يرون أنّ ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فيه ما يخالف العقل، وفيه جهالات والعياذ بالله، فقصدوا من تأليف هذه الرسائل تنقيح وتدقيق وتخليص الشريعة من الشوائب، وذلك بالتوفيق بين الشريعة والفلسفة اليونانية، إذاً مذهبهم هذا:

قام على أساس التوفيق بين الدين والفلسفة، وألفوا لهذا الغرض رسائلهم، فهم يرون أنّ الشريعة قد دنست بالجهالات، واختلطت بالضلالات، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة، لأنّها حاوية الحكمة الاعتقادية، والمصلحة الاجتهادية، فهم يفسرون الشريعة الإلهية، أو الوحي بشرح أفلوطيني، وحَشَوا هذه الرسائل بالكلمات الدينية، والأمثال الشرعية، والحروف المحتملة، والطرق الموهمة.

وجمعوا فيها أيضاً بين مقالات الصابئة المتأخرين من علوم النجوم والأفلاك التي هي الفلسفة المختلطة بالوثنية، وبين ما جاءت به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن الله تعالى، فأتوا بما زعموا أنّه معقول، ولا دليل على كثير منه، وربّما ذكروا أنّه منقول، وفيه من الكذب والتحريف أمر عظيم، وهذا لا يخفى على القارئ لرسائلهم.

فهؤلاء كأنّهم يقولون: إنّ شريعة الله تعالى لم تكتمل، وأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم لم يبيّن الدين بشكل صحيح، أو أنّه صلى الله عليه وسلم لم يبلغ دين الله تعالى تمام التبليغ، أو كتم صلى الله عليه وسلم شيئاً من دين الله تعالى.

السبب الثاني:

أنّ مذهبهم هذا المكتوب في رسائلهم يخالف القرآن والسنة النبويّة تمام المخالفة، وليس فيها ما يوافقها إلا نادراً، وهم من الفرق الباطنية، فانظر ماذا قالوا:!!!

(واعلم يا أخي بأنّ في الناس طائفة من أهل ملتنا مقرّون بفضلنا، وفضل أهل بيتنا، ولكنّهم جاهلون بعلومنا، غافلون عن أسرارنا وحكمتنا، فمن ذلك أنّهم يجحدون وجودنا، وينكرون حقائقنا، ومع هذا فإنّهم يزرون بشيعتنا، المقرّين بوجودنا، المنتظرين ظهور أمرنا، ومعاندون لهم متعصبون عليهم، مبغضون لهم) . (إخوان الصفا، ٦٨٠).

وقالوا أيضاً: (اعلم يا أخي أنّ من الناس من يتقرب إلى الله بأنبيائه ورسله، وبأئمتهم وأوصيائهم، أو بأولياء الله وعباده الصالحين، أو بملائكة الله المقربين، والتعظيم لهم ولمساجدهم، والاقتداء بهم، وبأفعالهم، والعمل بوصياهم، وسنتهم على ذلك حسب ما يمكنهم ويتأتى لهم، ويتحقق في نفوسهم، ويؤدي إليه اجتهادهم، فأمّا من يعرف الله حق معرفته، فهو لا يتوسل إليه بأحد غيره، وهذه مرتبة أهل المعارف الذين هم أولياء الله.

Original Article | doi: 10.14500/kujhss.v2n1y2019.pp84-97

وأمّا من قصر فهمه ومعرفته وحقيقته فليس له طريق إلى الله تعالى إلا بأنبيائه، ومن قصر فهمه معرفته فليس له طريق إلى الله إلا بالأئمة من خلفائهم، وأوصيائهم وعباده، فإنّ من قصر فهمه ومعرفته بهم فليس له طريق ألا إتباع آثارهم، والعمل بوصاياهم، والتعلق بسنتهم، والذهاب إلى مساجدهم ومشاهدهم، والدعاء والصلاة والصيام والاستغفار وطلب الغفران والرحمة عند قبورهم، وعند تماثلهم المصورة على أشكالهم لتذكار آياتهم، وتعرف أحوالهم من الأصنام والأوثان، وما شاكل ذلك طلباً للقربة إلى الله والزلفى لديه، ثمّ اعلم: أنّه على كلّ حال من يعبد شيئاً من الأشياء، ويتقرب إلى الله بأحد فهو أصلح حالاً ممن لا يدين شيئاً، ولا يتقرب إلى الله البتة). (إخوان الصفا، بيروت، ٤ / ١٢٩)

ومذهبهم خليط من المذاهب الفلسفية المختلفة، ومن العقائد الدينية المتعددة، وهم لا يفضلون مذهباً على مذهب، ولا ديناً على دين، وإنّما المذاهب الفلسفية والعقائد الدينية عندهم على حدّ سواء، وهم يصرحون بذلك حيث قالوا:

(وبالجملة ينبغي لإخواننا أيدهم الله تعالى أن لا يعادوا علماً من العلوم، أو يهجروا كتاباً من الكتب، ولا يتعصبوا لمذهب على مذهب، لأنّ رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها، ويجمع العلوم جميعها). (إخوان الصفا، بيروت، ٤/ ١٠٥).

ويجعلون خصال المرء الكامل الخلق: (أن يكون عربي الدين، مسيحي المنهج، يوناني العلم، هندي البصيرة، صوفي السيرة، مالكي الأخلاق، إلهي المعارف). (إخوان الصفا، بيروت، ٢ / ٣٦١).

وهذا الكلام لا يقول به من له أدنى إيمان، بل هو اعتقاد من في باطنه الكفر المحض، وإن أظهر الإسلام، وهدفه هدم دين الله تعالى، ولهذا لا يعتبر هذه الجماعة من أهل السنة، بل هم من الملاحدة الباطنيين، ومن أنكر ذلك فعليه بقراءة رسائلهم، وهذا جزء ممّا قالوه.

فالناظر في رسائل (جماعة إخوان الصفا وخلان الوفاء) يجد بأنّها مدرسة فلسفية أصبحت بمرور الزمن الأساس الذي ارتكزت عليه المعتقدات الباطنية من الإسماعلية، واعتبر رسائلهم كالحديقة التي فيها ما تشتهي أنفس الأشخاص الباطنية في الحياة في كافّة مراحلها من الأخلاق والسلوك الاجتماعي، وسلالم المعرفة عندهم، وطريق السالك عندهم في معارج التوحيد.

فقد ذكروا في رسائلهم هذه مبدع الهويات، والإبداع والفيض، وهبوط النفس، والآباء والأمهات في الولادة الروحانية، والإنسان على أنّه عالم صغير، والنفس والعلل والمعلولات، ووحدة الأديان، والبعث والقيامة، والقضاء والقدر، والجنة والنار، والإفادة والتعليم، والإمامة، والكوار والأدوار، والتبني الروحي، والمدينة الفاضلة.

وهي مقسومة على أربعة أقسام:

١. رياضية تعليمية: وتشتمل على أربع عشرة رسالة.
٢. جسمانية طبيعية:
٣. نفسانية عقلية: وتشتمل على عشر رسائل.
٤. ناموسية، شرعية، ألهيه: وتشتمل على إحدى عشرة رسالة. وتلي هذه الرسائل: الرسالة الجامعة لما في هذه الرسائل، وتقع رسائلهم في أربعة أجزاء:

الجزء الأول: منها على أربع عشرة رسالة في الرياضة، والمنطق، ويحتوي الجزء الثاني: على سبع عشرة رسالة في العلوم الطبيعية والنفسية، وأمّا الجزء الثالث: فيتكون من عشر رسائل فيما وراء الطبيعة، وأمّا الجزء الرابع: فيتألف من إحدى عشرة رسالة في التصوف، وعلم النجوم والسحر، وبين رسائل الجزء الرابع رسالة خَصصوها لذكر أخلاق إخوان الصفا، وإلى أي حدّ يجب أن تكون صلاتهم وثيقة متينة الأواصر حتى تفوق علاقة الأب بأبنه، والأخ بأخيه، والزوج بزوجته، لأنّ هذه العلائق الأسرية عندهم ناشئة من علل وأسباب، وأمّا إخوان الصفا فلا علل بينهم إلا الطهر والنقاء حسب زعمهم، وهم قالوا: (أنّهم ألفوا رسائلهم الاثنتين والخمسين في الفلسفة من نواحيها كلها). (إخوان الصفا، بيروت، ٢٦١/ ٢٨٣).

ونحن نذكر في هذا البحث: مفهوم النبيّ والرسول في فكر جماعة إخوان الصفا على ضوء رسائلهم، حيث أفردوا الرسالة السابعة والأربعين من رسائلهم للبحث في ماهية الناموس الإلهي، وشرائط النبوة، وكمية خصال الأنبياء الذين اعتبروهم أطباء النفوس ومنجموها، وينظرون إلى الأنبياء أنهم أفضل البشر رتبة، وأرفع درجة، مما يلي رتبة الملائكة، وتمام النبوة في ست وأربعين خصلة من فضائل البشرية، وشرحوا وفصلوا في رسائلهم هذه الخصال، وأشاروا إلى أنّه متى اجتمعت هذه الخصال في واحد من البشر في دور من الأدوار، وفي وقت من الزمان، فإنّ ذلك الشخص هو المبعوث وصاحب الزمان، والإمام للناس ما دام حيّاً.

ودراستي هذه يتكون من مبحثين، وأربعة مطالب:

المبحث الأول: فيمن صنف هذه الرسائل، ووقت ظهور جماعة إخوان الصفا، ومفهوم النبي والرسول عند إخوان الصفا، وصفات وشراط الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: من هم إخوان الصفا؟، وأسماء المؤلفين لهذه الرسائل؟، وفي أيّ زمن ظهرت هذه الجماعة؟، والمطلب الثاني: في ماهية الناموس الإلهي، وشرائط النبوة، وفي خصال الأنبياء عندهم.

والمبحث الثاني: نخصّصه عن معنى النبي والرسول، والإيمان بهم عند إخوان الصفا، ثمّ نقارن وندرس ونناقش آراءهم الباطنية على ضوء الكتاب والسنة النبوية والحجج العقلية: وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: نبيّن فيه حقيقة إيمان إخوان الصفا بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والمطلب الثاني: في دراسة، وتحليل آراء إخوان الصفا في معنى النبيّ والرسول، والإيمان بهم عليهم الصلاة والسلام، على ضوء الكتاب والسنة.

٢. المبحث الأول:

٢,١ المطلب الأول: من هم إخوان الصفا؟، ومتى ظهروا؟، ومن ألّف رسائلهم؟

فنتكلم فيه من وجهين:

٢,١,١ الوجه الأول: متى ظهرت هذه الجماعة؟

ظهرت جماعة إخوان الصفا في القرن الرابع الهجري في زمن أبي الحيان التوحيدي[١]، والوزير ابن سعدان[٢]، وهما عاشا في ذلك القرن، وكانت الدولة العباسية في أحلك أيامها أبان عهد الولايات المتناحرة، حيث أفل الوجود الفعلي للسلطة المركزية في بغداد، واتخذوا البصرة مقرّا لهم. (ابن كثير، ٢٠٠٦م، ١٠/ ٢٤٢).

وبعد مقتل الخليفة المتوكل عام ٢٤٧ هـ،[٣] بدأت الفتن تستشري، والأحوال تضطرب، وسلطان الخلفاء يتلاشى بسبب اعتمادهم على الترك، وظهور كثير من الطوائف المارقة عن الدين، والتنافس الشديد بين قواد الجيش والوزراء، ممّا أدى إلى عدم الاستقرار

السياسي، واضطراب الأحوال اضطرارا شديداً. (ابن كثير، ٢٠٠٦م، ١٠ / ٢٤٢، وما بعدها).

فأفلت زمام العامة، واضطربت الأمور في شتى أنحاء الخلافة، فكان الناس يستجيبون لكل صيحة، ويسارعون للمشاركة في كلّ فتنة، وبدأ ظهور كثير من الطوائف المارقة عن الدين، والتنافس الشديد بين قواد الجيش والوزراء، وأصبح الجند المتعددي الأجناس يدينون بولائهم إلى قادتهم أكثر من ولائهم للخليفة، وهم لا يقاتلون عن دين، ولا حمية، ولا غيرة، ولا على سيادة الدولة، بل تتحكم في تصرفاتهم مصالحهم الشخصية من أموال، وسيطرة، ونفوذ، ممّا أدى إلى عدم الاستقرار السياسي، واضطراب الأحوال اضطرابا شديداً. (البخاري، ١٩٨٦م، ١٣/ الصلابي، ٢٠٠٦م، دار ابن كثير، ٢٠٠٦م، ٢٦٣).

في الوقت الذي ظهرت فيه رسائل إخوان الصفا كان العالم الإسلامي والدولة العباسية يشهد القتال بين السنة والشيعة في عاصمة دولة الخلافة، وعدم تمكن الدولة أن تحجز بين الفريقين، والقتال بين الأشاعرة والحنابلة، وكان جانب الحنابلة قوياً بحيث إنّه كان لا يتمكن أحد من الأشاعرة شهود الجماعات، وغير ذلك من النهب، والغلاء، والفساد بين الناس. (ابن كثير، ٢٠٠٦م، ١٢ / ٣٥ وما بعدها).

فعصر ظهورهم تميز بكثرة الدويلات المتناحرة، وانعدام السلطة المركزية، وتفشي الفساد السياسي، وكثرة القتل والنهب والترويع، الأمر الذي أقض مضاجع العلماء وعامة الناس في هذا العصر، ولا ريب أنّ فساد الحالة السياسية سينعكس سلباً على الحالة الاقتصادية، فضعف السلطان كان سبباً مباشراً لشيوع شريعة الغاب بينهم في ذلك العهد، إذ استفحل أمر اللصوص فأغاروا على المنازل في وضح النهار، وقد صحب هذه الحوادث المروعة غلاء شديد في المعيشة، وباستثناء القلّة من أصحاب الجاه والسلطان، فإنّ الأمّة كانت تعيش حياة صعبة، وبالجملة كانت الأوضاع السياسية، والأحوال الاقتصادية مؤشراً على الوهن الذي أصاب العالم الإسلامي، حيث بلغت الخلافة العباسية من الضعف جدّاً ما جعل الأمور تفلت من يدها ممّا شجع آل بويه الشيعة على الدخول إلى بغداد، والاستلاء على مقاليد الحكم فيها، وكان هذا نذير شؤم على المسلمين السنّة حيث تجرأ على الدين كلّ ناعق وزنديق، وكان إخوان الصفا من هؤلاء الذين تشجعوا بمجيء آل بويه، فأظهروا من أمرهم ما كان خافياً، وتجرأوا على إظهار رسائلهم. (أمحزون، ٢٠١٠م، ٨١).

فاستفادوا من تدهور الأوضاع على الصعيد السياسي والاقتصادي، لكي يثبتوا أفكارهم، ورسائلهم بين الناس من جانبين:

الجانب الأول: خلق البويهيون[٤] الأجواء والظروف المناسبة لظهور الاتجاهات الشيعية، والباطنة المتعاطفة معهم.

الجانب الثاني: وجود القرامطة الباطنية والملاحدة كان سبباً آخر لظهور رسائل إخوان الصفا، حيث جروا عسكر الخليفة مراراً عديدةً، وقتلوا الحاج قتلاً ذريعاً، وانتهوا إلى مكة فقتلوا بها من وصل من الحاج إليها، وقلعوا الحجر الأسود من مكانه، وقويت شوكتهم، واستفحل أمرهم، وعظمت بهم الرزية، واستندت بهم البليّة، وفي زمانهم استولى الكفار على كثير من بلاد الإسلام في الشرق والغرب، وكاد الإسلام أن ينهدم ركنه لولا دفاع الذي ضمن حفظه إلى أن يرث الأرض ومن عليها، ثمّ خمدت دعوة هؤلاء في المشرق، وظهرت من المغرب قليلاً قليلاً على أيدي العبيديين المنتسبين إلى أهل البيت زوراً وبهتاناً، الملقبين بالفاطمية، ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض، حتى استفحلت وتمكنت، واستولى أهلها على كثير من بلاد المغرب، ثمّ أخذوا بالاستيلاء على المدن حتى وصلوا إلى بلاد مصر فملكوها، وبنوا بها القاهرة عاصمة مصر اليوم، وأقاموا على دعوة الباطنية مصرحين بها غير متحاشين منها هم وولاتهم وقضاتهم وأتباعهم، وهي تقديم العقل على الوحي، وفي هذا الظرف ظهرت رسائل إخوان الصفا. (التميمي، ١١٦ ـ ١١٧، / السفاريني، ١٩٨٢، ٨٥، / إبن خلكان، ١٩٩٨م، ٢/ ١٢٤ وما بعدها).

وكان من أهداف هذه الرسائل بحسب زعمهم القضاء على الدولة العباسية، وبناء دولة أهل الخير، أو المدينة الفاضلة، ذات النظام المثالي المرتكز على فلسفة الأخلاق، والسلوك، والعبادة الحقانية حسب زعمهم، وانظر ماذا قالوا في رسائلهم:

(قد نرى أنّه قد تناهت دولة أهل الشر، وظهرت قوتهم، وكثرت أفعالهم في العالم في هذا الزمان، وليس بعد الزيادة إلا الانحطاط والنقصان، ولا بدّ من كائن قريب، حادث عجيب، فيه صلاح الدين والدنيا)، وقالوا أيضاً: (واعلم أنّ دولة أهل الخير يبدأ أولها من قوم علماء، حكماء، أخيار فضلاء، يجتمعون على رأي واحد). (إخوان الصفا، ٤/ ٤٢).

٢،١،٢ الوجه الثاني: من صنف رسائلهم؟

اختلف الناس في أسماء من صنفوا هذه الرسائل، ولعلّ هذا الاختلاف يعود إلى السريّة التامة التي أحاط بها إخوان الصفا أنفسهم في تطوير نظام حركتهم الهدامة، وهو ما يعرف في التأريخ الإسلامي بالتقيّة، وهو أسلوب الفرق الباطنية للتعمية عن أخبارها، وعدم الاهتداء إلى أعضائها، إذ قالوا:

(واعلم أيها الأخ البارّ الرحيم: أنّا لا نكتم أسرارنا عن الناس خوفاً من سطوة الملوك ذوي السلطنة الأرضية، ولا حذراً من شغب جمهور العوام، ولكن صيانة لمواهب الله عزّ وجلّ، كما أوصى المسيح عليه السلام فقال: لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم). (إخوان الصفا، pdf، ٦٨٩).

فظهور الرسائل، وانتشارها بين الوراقين، وفي المجالس الأدبية والعلميّة، وأمام أبواب المساجد (الصفدي، ٢٠٠٠م، ١٠) تلك غاية كانت ضمن سياق خطة مؤلفيها تأثير نفسي لدى الملتقي، يفرض عليه البحث وراء سرّ هؤلاء من خلال قيادته إلى قراءة الرسائل، ومن ثمّ التأثر والتفاعل مع ما ورد فيها من أفكار وآراء، ولما كتم مصنفوها أسمائهم، اختلف الناس في الذين وضعوها، وألفوا هذه الرسائل، وهي شخصيات لهذه الجماعة السرية التي لعبت دوراً فعالاً في الفكر الإسماعلية الباطنية، فاختلف الباحثون في من كتبها على أقوال:

القول الأول:

تصنيف لبعض متكلمي المعتزلة في العصر الأول. (القفطي، ٢٠٠٥م، ٣٩).

وفي نظري أنّ هذا الرأي في غاية الضعف، وذلك لسببين:

١ـ أنّ المعتزلة الأوائل ظهروا في العصر الأموي، ورسائل إخوان الصفا ظهر في العصر العباسي، كما نبيّنه في هذا المطلب.

٢ـ في هذه الرسائل من الخرافات والأباطيل والأخبار الزائفة غير الواقعية يأباها منهج المعتزلة العقلانية.

القول الثاني:

من تصنيف الإمام جعفر الصادق[٥] رحمه الله تعالى، وممن ذهب إلى هذا الرأي القاضي نعمان بن حيون المغربي التميمي[٦] في رسالته. (الهيثمي، ١٤٢٧هـ، ٢٧١، / السفاريني، ١٩٨٢م، ٨٥، / إخوان الصفا، ٢٧ ـ ٢٨).

وردّ:

هذا من أقبح الكذب، وأوضحه، لأنّه لا نزاع بين العقلاء أنّ هذه الرسائل صنفت بعد المائة الثالثة، أي بعد موت الإمام جعفر الصادق رحمه الله تعالى بأكثر من مائتي سنة، بل صنفت عند ظهور مذهب الإسماعلية العبيدين الذين بنوا القاهرة، وصنف مذهبهم على مذهبهم الذي ركبوه من قول الفلاسفة اليونان، ومجوس الفرس. (الهيثمي، ١٤٢٧هـ، ٢٧١، / السفاريني، ١٩٨٢م، ٨٥).

القول الثالث:

قال ابن حجر الهيتمي[٧] في الفتاوى الحديثية: إنّ الصواب، أنّ مؤلفها ـ مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبد الله المجريطي[٨]، ـ نسبة إلى مدريد الحالي بالإسبانية ـ ويكنى أبا القاسم، كان جامعاً لعلوم الحكمة من الإلهيات والطبيعيات والهندسة والتنجيم وعلوم الكيمياء وطبائع الأحجار وخواص النباتات، وإليه تنتهي علم الحكمة بالأندلس، وعنه أخذ حكماء ذلك الإقليم، وتوفي أواخر جمادي الآخرة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، وهو إبن ستين سنة. (الهيتمي، ١٤٢٧هـ، ٢٧١، / المرتضى الزيدي، ٢٠٠٨م، ٢٩٩٦).

القول الرابع:

واضعوها جماعة من علماء الفاطميين بمصر، وكانوا يُلَقّون رسالة بعد رسالة عند جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه.[٩] (الصفدي، ٢٠٠٠م، ١٠).

القول الخامس:

هو محمد بن عليّ بن أحمد النحوي أبو بكر الأدفوي[١٠] ـ نسبة إلى قرية بالصعيد الأعلى ـ المفسر، صحب أبا جعفر النحاس[١١]، وأخذ عنه، وأكثر من علماء وقته، صنف كتباً مفيدة، منها تفسيره للقرآن العزيز سمّاه الاستغناء، ورسائل إخوان الصفا، ومعاني الفراء. (الفيروزآبادي، ١٤٠٧هـ، ٦٩).

القول السادس: صنفها كل من:

أبي سليمان محمد بن معشر البستي، ويعرف بالمقدسي، وأبي الحسن عليّ بن هارون الزنجاني، وأبي أحمد المهرجاني، والعوفي، وزيد بن رفاعة[١٢]، المعروف بوضع الحديث على الفلسفة، وقال الخطيب[١٣] بحقه: كذاب، كما نقل إبن الحجر العسقلاني[١٤] في ـ لسان الميزان ـ (العسقلاني، ٢٠٠٢م، ٢/ ٣٧٤).

ومن المصنفين مع هؤلاء: عليّ بن عبيدة الريحاني[١٥]، وأبو القاسم مسلمة بن القاسم بن أبي صالح بن عبد الله بن عمر بن وضاح: الرياضي الفيلسوف الشهير بالمجريطي الأندلسي. (البيهقي، ٢٠١٥م، ٥، / العجلوني، ١٣٥١هـ، / حاجي خليفة، ٩٠٢، / الصفدي، ٢٠٠٠م، ١٠، / الزركلي، ٢٠٠٧م، ٦/ ١٤٩، ١١/ ٥٠).

وكانت هذه الجماعة قد تألفت بالعشرة، وتضافت بالصداقة فوضعوا بينهم مذهباً، وزعموا أنّهم قد قربوا به من الطريق إلى الفوز برضوان الله تعالى، والمصير إلى جنته. (التوحيدي، ٢٠١٥م، ٦٩، / الصفدي، ٢٠٠٠م، ١٠).

القول السابع:

هذه الرسائل لأحمد بن عبد الله بن محمد المكتوم بن إسماعيل بن جعفر الصادق، المعروف بالمستور، والمفتون، وبالإمام التقيّ والوفيّ، المتوفى في سنة ٢٢٥هـ (البغدادي، ١٩٨٤م، ٩١، / السفاريني، ١٩٨٢م، ٥٦).

القول الثامن:

وضع رسائل إخوان الصفا: زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة وحده، وكان أجهل خلق الله في الحديث، وأقلهم حياءً، وأجرأهم على الكذب. (الشوكاني، ٢٠١١م، ٢٠٥، ـ/ السفاريني،١٩٨٢م، ٢/ ٥٨، ـ / درويش، ١٩٨٣م، ٣٣٩، ـ / طاهر، ١٣٤٣هـ،١ / ٤، ـ / العجلوني، ١٣٥١هـ،٢ / ٢٥٠).

٢,٢ المطلب الثاني: في مفهوم النبوة، وشروطها، وصفات الأنبياء، وأعمالهم حسب مذهبهم:

جعل إخوان الصفا الرسالة السابعة والأربعين للبحث لماهية النبوة، وشروط النبيّ، وصفات الأنبياء، وأعمالهم، لأنّهم يعتبرون الأنبياء أطباء النفوس، ومُنجموها، وهم يرون أنّ النبوة هي أعلى درجة، وأرفع رتبة، ينتهي إليها حال البشر ممّا يلي رتبة الملائكة، وتأتي بعدهم الفلاسفة والعلماء، الذين هم ورثة الأنبياء، ونحن نعرض آرائهم على ما كتب في رسائلهم نصاً، ولكن بترتيب وتنظيم جميل لتكون آرائهم وأفكارهم واضحةً جليّةً لدى القارئ الكريم، فقالوا:

(إنّ الحكماء والعلماء هم ورثة الأنبياء، والأنبياء هم سفراء الله بينه وبين خلقه ليعبروا عنه المعاني، ويفهموها الناس بلغات مختلفة، ولكل أمّة ما تعرفه على قدر احتمال إفهامهم، فإذا مضت الأنبياء لسُبلها خلّفهم العلماء والحكماء، وقاموا مقامهم، ونابوا منابهم فيما كانوا يقولون ويفعلون، ويُعلّمون الناس من معالم الدين، وطريق الآخرة، ومصالح الدنيا، فمن قبل منهم ما قالوه، وعمل بما أمروه، فهو على طريق النجاة والفوز، فأحذر يا أخي: مخالفة الحكماء، ومعاندة العلماء). (إخوان الصفا، pdf، ٥٣٣، ٥٣٤).

والإنسان في نظرهم:

مركب: من جسم وروح، وأنّ الروح: أشرف من الجسد، وغاية الإنسان هي التخلص من الجسد، والعودة إلى الأعلى إلى عالم الروح، فقالوا:

(كان الإنسان هو جملة مركبة من جسد جسماني ظاهر جليّ، ومن نفس روحانية باطنة خفيّة، صارت أحكام الدين والإسلام، وحدود الشريعة على وجهين ظاهر وباطن: والظاهر: هو إعمال الجوارح، والباطن: هو إعتقاد أنّ الأسرار في الضمائر، وهو الأصل). (إخوان الصفا، pdf، ٥٩٦).

ولهذا فالرئاسة في مفهوم إخوان الصفا على نوعين:

١ـ رئاسة جسمانية، مثل:

رئاسة الملوك والجبابرة الذين ليس لهم سلطان إلا على الأجسام والأجساد بالقهر والغلبة والجور والظلم، ويستعبدون الناس، ويستخدمونهم قهراً في إصلاح أمور الدنيا وشهواتها.

٢ـ رئاسة روحانية، مثل:

رئاسة أصحاب الشرائع الذين يملكون النفوس، والأرواح بالعدل والإحسان، ويستخدمونها في الملل والشرائع، لحفظ الشرائع، وإقامة السنن، والتعبد بالإخلاص، لنيل الثواب.

حيث قالوا: (الملك: أمر دنيوي، والنبوة: أمر أخروي، والدنيا والآخرة كأنّهما ضدان، وأكثر الملوك يكونون راغبين في الدنيا حريصين عليها، تاركين لذكر الآخرة ناسين لها، والأنبياء عليهم السلام من خصالهم:

التزهيد في الدنيا، والترغيب في الآخرة، يأمرون بها، ويحثّون عليها، فعلى هذه الدرجة يكون حال الملوك مضاداً لحال النبوة، ولكنّ الأنبياء عليهم السلام الذين جمع الله لهم الملك والنبوة لم يكونوا شديدي الرغبة في الدنيا، ولا حريصين على شهواتها مثل يوسف وداود عليهم السلام). (إخوان الصفا، pdf، ٦٠١).

ولأنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: هم رؤساء الناس من الناحية الروحية، فلننظر من هو: النبيّ في نظرهم؟١٦، وما هي صفاتهم الفكرية والجسدية والخلقية؟، وما هي الأعمال القلبية والفعلية التي تجب عليهم؟١٧:

لأنّ الوحيّ إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في نظرهم جِبلة روحانية تبدو من نفس جزئية في جسد بشري بقوة عقلية تفيض عليها من العقل الفعال، فبيّنوا، ووضحوا

وشرحوا خصال الأنبياء وصفاتهم التي تتعلق بأفكارهم، وأجسامهم وأبدانهم، وصفاتهم التي تتعلق بأفعالهم فقط عليهم الصلاة والسلام، ونرتبها لزيادة التوضيح على قسمين:

القسم الأول:

الصفات الخَلقية، والخُلقية لهم عليهم الصلاة والسلام، وتكون على نوعين:

النوع الأول:

الصفات التي تجب في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من حيث: بنيتهم البدنية، والجسدية، والفكرية لتفيض عليهم من العقل الفعال وليس من قبل الله تعالى الوحيَ، وهي أن يكون:

١. تامّ الأعضاء، قوية قوائمه على الأعمال التي من شأنها أن تكون بها، ومنها، ومتى همّ أن يقضي عملاً أتى عليه بسهولة.
٢. جيّد الفهم، سريع التصور لكل ما يقال له، ويلقاه لفهمه على ما يقصد القائل به على حسب الأمر في نفسه.
٣. حافظاً لما يفهمه، ولما يسمعه، ولما يذكره، ولا ينسى شيئاً منها.
٤. فطناً ذكياً، حتى إذا رأى على شيء أدنى دليل، فطن له على الجهة التي يدل عليها الدليل.
٥. حسن العبارة، يواتيه لسانه على ما في قلبه، وضميره بأوجز الألفاظ.
٦. محباً للعلم، والإستفادة، منقاداً له سهل القبول، لا يؤلمه تعب العلم، ولا يؤذيه الكدّ الذي يلحقه.
٧. محبّاً للصدق، وحسن المعاملة، مقرباً لأهله.
٨. غير شرهٍ في الأكل، والشرب، والنكاح، مجتنباً العيب، مبغضاً للذات الكائنة عن هذه.
٩. كبير النفس، عالي الهمّة، محباً للكرامة، تكبر نفسه الطبع عن كل ما يشين من الأمور، ويشنع، وتسمو همّة نفسه إلى أرفع الأمور رتبة، وأعلاها درجة.
١٠. الدرهم والدينار وسائر أعراض الدنيا هينة عنده، زاهداً فيها.
١١. محبّاً للعدل، وأهله، مبغضاً للجور، والظلم وأهله، يعطي النصف لأهلها، ويرثى لمن حلّ به الجور، وإن دعي إلى الجور والقبيح لا يجيب.
١٢. قوي العزيمة على الشيئ الذي يرى أنّه ينبغي أن يفعل، جسوراً مقداماً، غير خائف، ولا ضعيف النفس. (إخوان الصفا، pdf، ٦٧٠).

النوع الثاني:

الصفات المتعلقة بأفعالهم، أو صفاتهم من حيث الأفعال والأخلاق:

فقالوا: (فإذا بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمّة، ودوّن التنزيل، ولوح التأويل، وأحكمَ الشريعة، وأوضحَ المنهاج، وأقامَ السنّة، وألف شمل الأمّة، ثمّ توفي، ومضى إلى سبيله، بقيت تلك الخصال في أمّته وارثة منه، وإن إجتمعت تلك الخصال في واحد من أمّته أو جلّها، فهو الذي يصلح أن يكون خليفته في أمّته بعد وفاته). (إخوان الصفا، pdf، ٦٦٨).

القسم الثاني:

الأعمال القلبية التي تجب عليهم من حيث نظرهم، هي أن يرى:

١. ويعتقد في نفسه علماً يقيناً أنّ: للعالم بارئاً قديماً حيّاً عالماً حكيماً قادراً قاهراً مريداً، وهو علّة جميع الموجودات، ومصرفها بحسب ما يليق بواحد واحد منها.
٢. ما يتصوره من موجودات عقلية مجردة من الهيولى، فكل واحد منها قائم بنفسه، متوجه نحو ما نصب له من أمره، وهم ملائكة الله تعالى، وخالص عباده، وبهم تقع المراسلة، والوحي، والأنبياء.
٣. ويعتقد وجودات نفسانية مجردة من الأبدان تارة، ومستعملة لها تارة، ومتعلقة بها تارة، وأنّها نازلة من جثث الحيوانات بحسب ما يليق بواحد منها من إدراك مأربها.
٤. أنّ بمفارقتها الجثث لا تبطل ذاتها، وخروجها من الجسد والحسّ لا يخرجها من قدرة الباري.
٥. أنّ كلّ واحدة من الموجودات منفردة بذاتها، لا يصلحها، ولا يفسدها إلا ما يتعلق بها من سوء أعمالها، أو فساد آرائها، أو رداءة أخلاقها، أو تراكم جهالاتها.
٦. أنّ الباري تعالى إذ أمر الناس أمراً مكّنهم منه، وأزاح عللهم فيه، فمنهم طائع لأمره، ومنهم راكب نهيه.
٧. ويجعل لكل صنف من أصناف الطاعات، المعاصي جزاء من الثواب والعقاب، ويعلم المأمورين، والمنهيين عنه أنّه إذا ما أتوه على بصيرة أوجب الأجر، وقطع العذر.
٨. للناس معاداً ويوم جزاء فيه مجازون بما أسلفوا من خير وشرّ وعرف ونكر، وأنّه جعل إلى كلّ واحد تمهيد مثواه، وإصلاح مأواه، فإن أحسن فلنفسه، وإن أساء فعليها.
٩. أنّ الدعاء إلى الله تعالى أولى الأعمال بالثواب، وأرفعها درجة عند المآب.
١٠. الدعاة إلى الله تعالى هم أعلى الناس درجة، وأرفعهم منزلة وأشدّهم في الدعاء إلى الله تعالى حرصاً، وأكثرهم فيه دربأ، وأوسعهم علماً، وأكثرهم أمّة، وأعظمهم على الناس نعمة، وأنطقهم بالصدق، وألزمهم لمنهاج الحق. (إخوان الصفا، pdf، ٦٧).
١١. على الأنبياء تجاه أمّتهم أنّ أول ستّة يستنها لهم، ويطالبهم بإقامتها، هي:
١٢. (مولاة بعضهم بعضاً بسبب حرمة الشريعة، لتأكيد المؤدة بينهم، وتأليف قلوبهم، ليجتمع بذلك شملهم، وتتفق كلمتهم، ويأمرهم بمخالفة من يخالفهم في سنّة الشريعة، ومجانبتهم والبراءة منهم، وإن كانوا ذوي القرابة والأحياء). (إخوان الصفا، ٤ / ١٣٤).
١٣. وعليهم: (إظهار الدعوة في الأمّة، ثمّ تدوين الكتاب المنزل بالألفاظ الوجيزة، وتبيين قراءته في الفصاحة، ثمّ إيضاح تفسير معانيه، وبلوغ تأويله، ووضع السنن المركبة، ومداواة النفوس المريضة من المذاهب الفاسدة، والآراء السخيفة، والعادات الرديئة، والأعمال السيئة، والأفعال القبيحة، فعليهم تشذيب النفوس من تلك العادات القبيحة، ومحوها عن ضمائرها بالتعريض لعيوبها، وذلك بالرأي الرصين، والترغيب في جزيل الثواب بيوم المآب). (إخوان الصفا، ٤ / ٤٩٤).
١٤. وعليهم أمام أمّتهم عليهم الصلاة والسلام (التعرف على خبر كلّ واحد منهم، من الصغير إلى الكبير، والذكر والأنثى، والحرّ والعبد، والشريف والدنيئ، والعالم والجاهل، والغني والفقير، والقوي والضعيف، والقريب والبعيد، وذلك ليعرف اسم ونسب كلّ واحد منهم، وصناعته، وعمله وتصرفه في حالاته، وما هو سبيله من أمر معاشه، وما هو الغالب عليه من الطبع الجيّد والرديئ، والخلق الحسن أو السيئ، والعادات العادلة أو الجائرة، حتى يثق بهم علماً، ويتبيّن منازلهم، ويستعين بكلّ واحد منهم في العمل المشاكل له، ويستخدمه في الأمر اللائق به). (إخوان الصفا، ٤ / ١٣٤).

أن يصبروا على أذيّة المخالفين لدعوتهم، والمعارضين لهم، والمشركين، فقالوا:

(قد يتعرض الأنبياء والصالحون وأتباعهم إلى شدائد وجهد وآلام في إظهار الدين وإفاضة سنن الشريعة في أول الأمر، ولكن لمّا كان الباري تعالى غرضه في إظهار الدين وسنة الشريعة هو النفع العام وصلاح الكل من الذين يجيئون بعدهم إلى يوم القيامة،

ولا يحصى عددهم ونفعهم وصلاحهم سهل في جنب ذلك، وصغر ما نال النبيّ من أذيّة المشركين). (إخوان الصفا، ٣ / ٣٦٦).

وقالوا أيضاً: (إذا تحققت هذه الآراء في نفس واضع الشريعة، وتصورها في فكرة كأنّه يشاهد يقيناً لا شكّ فيه، دعا عند ذلك إليها أهل دعوته الذين أرسل إليهم، ويجتهد في أنبائهم ما قد إعتقده بالتصريح عنها للخواص من أهل دعوته في السرّ والإعلان، غير مرموز ولا مكتوم، ثمّ يشير إليها ويرمز عنها عند العوام بالألفاظ المشتركة، والمعاني المحتملة للتأويل بما يعقلها الجمهور، وتقبلها نفوسهم). (إخوان الصفا، ٤ / ١٣٤).

وقالوا:

إنّ مثل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أتباعهم كالجسد الواحد، وجسم واحد، ونفس واحدة، بعد ما توافر فيهم هذه الشروط، والصفات، حيث قالوا:

(فإذا قاموا بواجب هذه السنة، وتثبتوا عليها، وإستحكمت تلك في نفوسهم، وتعاضدوا على ذلك، وتناصروا عليه، صار كلهم عند ذلك كرجل واحد وجسد واحد و نفس واحدة، وصار واضع الشريعة لهم بمنزلة الرأس من الجسد، وهم له كسائر الأعضاء، وتصير قوة نفس واضع الشريعة متصرفة في نفوسهم كتصرف القوة المفكرة في سائر القوى الحساسة، فيصدرون عند ذلك رأي واحدٍ وقصدٍ واحدٍ وغرضٍ واحدٍ بقوةٍ واحدةٍ، فيغلبون كلّ من رام غلبتهم، ويقهرون كل من عاداهم، فهلم بنا أيها الأخ إن كنت عازماً على طلب صلاح الدين والدنيا أن نقتدي بسنة الشريعة، ونجتمع مع إخوان لك فضلاء، وأصدقاء كرام، ونتعاون على ذلك بمحض النصيحة في الضمير). (إخوان الصفا، ٤ / ١٣٤).

ففي نظر إخوان الصفا أنّ مثل: الأنبياء وواضع الشريعة مع إخوانه وأنصاره وأتباعه الذين يأتون بعدهم إلى يوم القيامة في حكم الشريعة: كمثل شجرة هو وأصحابه وأنصاره: أغصانها وقضبانها، زمن يأتي بعدهم من التابعين لهم كالفروع، ومن يجئ بعدهم كالورق والنور والزهر والثمر.

وهذه الشجرة روحانية تنبت من فوق إلى أسفل، لأنّ عروقها في السماء مما يلي رتبة الملائكة، لأنّ مادتها من هناك تنزل، وفي مفهومهم أنّ هذه الشجرة هي شجرة طوبى نبتت من تحت العرش، وتدلت أغصانها في منازل أهل الجنّة، وهم يجتنون ثمرها في دائم الأوقات. (غالب، ١٩٧٩م، ١٢٧).

٣. المبحث الثاني: مفهوم النبيّ والرسول عند أهل السنة، والردّ على إخوان الصفا:

٣,١ المطلب الأول: عقيدة أهل السنة في الإيمان بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

نبيّن في هذا المطلب بشكل مختصر، عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان بالأنبياء، لسببين:

السبب الأول: إظهار العقيدة الصحيحة التي جاء بها القرآن والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

السبب الثاني: ليسهل للقارئ المقارنة بين العقيدة الصحيحة، وبين عقيدة إخوان الصفا، ليكشف عوارهم عنده، و يتبيّن له عقيدتهم الباطنية:

٣,١,١ أولاً: الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام:

الإيمان بالأنبياء والرسل ركن من أركان الإيمان، كما دلّ عليه القرآن والسنة النبوية، فيجب على الناس الإيمان والإعتقاد الجازم بأنّ الله تعالى أرسل إلى عباده رسلاً مبشرين ومنذرين لهداية البشر، وإخراجهم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان.

وقد جاءوا بمعجزات باهرات تدل على صدقهم، ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بجميع الرسل بدليل قوله تعالى (القرآن الكريم، ١٤٠٤هـ، ١٠٢) في سورة النساء الآية ١٥٠ ـ ١٥٢ **(إنّ الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً * أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً * والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً)**.

فالتصديق بجميع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب الله، وما ثبت به النقل من سائر سنته صلى الله عليه وسلم، ووجوب العمل بمحكمه، والإقرار بنص مشكله ومتشابهة، وردّ كل ما لم يحط به علماً بتفسيره إلى الله مع الإيمان بنصه، وأنّ ذلك لا يكون إلا فيما كلفوا الإيمان بجملته دون تفصيله. (الأشعري، ١٤١٧هـ، ٢٩٣).

وقد فضّل الله تعالى بعض الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام على بعض، قال الله تعالى (القرآن الكريم، ١٤٠٤م، ٤٢)، في سورة البقرة جزء من الآية ٢٥٣ (تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعضٍ منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجاتٍ وآتينا عيسى إبن مريم البينات وأيدناه بروح القدس).

وأجمعت الأمّة على أنّ الرسل أفضل من الأنبياء، والرسل بعد ذلك متفاضلون فيما بينهم، وأفضل الرسل والأنبياء: أولو العزم، وهم خمسة (محمّد، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام)، وأفضل أولو العزم:

نبيّ الإسلام، وخاتم الأنبياء والمرسلين، ورسول ربّ العالمين، المبعوث إلى الثقلين بالهدى، بعثه الله رحمة للعالمين، أبو القاسم محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد المناف، من ولد نبيّ الله إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام. (البخاري، ١٩٨٦م، ٥ / ٤٥).

وهو خاتم الأنبياء والمرسلين رسول الله إلى الناس أجمعين، وهو سيّد ولد آدم عليهما السلام، وأفضلهم، وأكرمهم على الله تعالى، وأعلاهم درجة، وأقربهم إليه وسيلة.

وختم النبوة والرسالة برسول الله صلى الله عليه وسلم معلومة بالضرورة ثابتة بكتاب الله وسنة رسوله المتواترة صلى الله عليه وسلم وبإجماع الصحابة والتابعين والعلماء والأمّة منذ مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، فالشك فيها هو شكّ في القرآن الكريم، وقول صريح بالكفر.

٣,١,٢ ثانياً: معنى النبيّ والرسول:

* معنى النبيّ في اللغة:

للنبوّة معنيان في اللغة، وكلاهما صحيح من حيث اللغة، ومناسبة لوجه التسمية الأنبياء بالنبيّ، فهو إمّا مشتق من النبأ وهو الخبر، وهو مخبر من الله، ويخبر عن الله تعالى، أو مشتق من النباوة أي الرفعة، والأنبياء مرتفع الرتبة على سائر الناس.

وفي الاصطلاح:

هو: من أوحى الله تعالى إليه بما يفعله، ويأمر به المؤمنين، أي مأمور بتبليغ وإرشاد المؤمنين، ويخاطبهم بأمر الله تعالى ونهيه، ولا يخاطب الكفار، ولا يرسل إليهم، (التفتازاني، ١٩٨٩م، ٥ / ٥)، وهذا هو المعنى الصحيح للنبيّ، والدليل على ذلك ما يأتي:

أ- قوله الله تعالى (القرآن الكريم، ١٤٠٤هـ، ٣٣٨) في سورة الحج جزء من الآية ٥٢ **(وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ)**، فالأنبياء من جملة من أرسلوا.

ب- ثبت في الصحيح عن طريق إبن عباس[١٨] رضي الله عنهما أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال (عرضت عليّ الأمم فرأيت النبيّ ومعه الرهط، والنبيّ ومعه الرجل والرجلان، والنبيّ وليس معه أحد). (النيسابوري، ١٣٣٠هـ، رقم الحديث ٣٧٤، ١ / ١٩٩).

ج- فائدة إرسال الرسل، وبعث الأنبياء لإرشاد الناس إلى الطريق المستقيم، وإصلاح المجتمع بشرع الله تعالى.

د- ترك البلاغ وكتمان للوحي الذي أوحى الله إليه، وهو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا لا يقبل من علماء الأمّة فكيف بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولهذا: العلماء ورثة الأنبياء، وليسوا ورثة الرسل، لأنّ العالِم في قومه يقوم مقام النبيّ في إيضاح الشريعة التي معه.

* معنى الرسول في اللغة:

والرسول مصدر لفعل ـ أرسل ـ بمعنى التوجيه، قوله الله تعالى (القرآن الكريم، ١٤٠٤هـ، ٣٧٩)، في سورة النمل الآية ٣٥ **(وإنّي مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون)**، فهم عليهم الصلاة والسلام موجهون بالأوامر والنواهي من قبل الله تعالى إلى الناس.

وفي الإصطلاح:

هو من أوحى الله إليه، وأرسله إلى من خالف أمر الله تعالى ليبلغ رسالة الله، أي مرسل إلى الكفار والمؤمنين ليبلغهم رسالة الله تعالى، ويدعوهم إلى عبادته، وهو إرسال مطلق إلى عامة أمته من الكفار والمؤمنين، وقد يأتون بشريعة جديدة مثل إبراهيم وموسى وعيسى ونبيّنا عليهم الصلاة والسلام، وقد لا يأتون (التفتازاني، ١٩٨٩م، ٥ / ٦)، بدليل قوله تعالى (القرآن الكريم، ١٤٠٤هـ، ٤٧١) في سورة غافر الآية ٣٤ (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شكّ ممّا جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً)، مع أنّ يوسف على شريعة إبراهيم عليها السلام. وعند المعتزلة لا فرق بين النبيّ والرسول في الإصطلاح، فاللفظان متساويان من حيث الحمل أي مختلفان في اللفظ ومتحدان في المفهوم، لأنّهما يثبتان معاً ويزولان معاً في الإستعمال، حتى لو أثبت أحدهما ونفي الآخر لتناقض الكلام، وهذا هو أمارة إثباتِ كلتي اللفظتين المتفقتين في الفائدة. (الهمداني، ١٩٩٦م، ٥٦٨).

٣,١,٣ ثالثاً: صفات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام:

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لكونهم بشراً لهم صفات يشترك فيها باقي الناس، وهم في هذه الصفات مثل غيرهم من عامة الناس، قوله تعالى (القرآن الكريم، ١٤٠٤هـ، ٣٦٠)، في سورة الفرقان الآية ٧(ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق).

ولكونهم واسطة بيننا وبين الله تعالى لهم صفات تخصهم، ولا يشترك فيها أحد من عامة الناس، ولهم بهذه الصفات مزيّة على غيرهم، وهذه الصفات خاصة بهم، ولهذا تنقسم صفات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام إلى قسمين:

القسم الأول: صفات يشتركون فيها مع باقي الناس، وهي:

أ- البشرية: قوله الله تعالى (القرآن الكريم، ١٤٠٤هـ، ٢٩١)، في سورة الإسراء، جزء من الآية ٩٤ **(أبعث الله بشراً رسولاً)**.

ب- الصدق: قوله الله تعالى (القرآن الكريم، ١٤٠٤هـ، ٤٤٣) في سورة يس، جزء من الآية ٥٢ **(هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون)**.

ج- التبليغ: قوله الله تعالى (القرآن الكريم، ١٤٠٤هـ، ٢٤) في سورة البقرة الآية ١٥٩ **(إنّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيّنّاه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله)**، وقوله تعالى (القرآن الكريم، ١٤٠٤هـ، ١١٩) في سورة المائدة الآية ٦٧ **(يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته)**.

د- الاستقامة: قوله الله تعالى (القرآن الكريم، ١٤٠٤، ٢٣٤) في سورة هود الآية ١١٢ **(فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنّه بما تعملون بصير)**.

هـ- الصبر: قوله الله تعالى (القرآن الكريم، ١٤٠٤، ٥٠٦) في سورة الأحقاف، جزء من الآية ٣٥ **(فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل)**.

و- الأمانة: قوله الله تعالى (القرآن الكريم، ١٤٠٤، ١٥٩) في سورة الأعراف، جزء من الآية ٦٨**(وأنا لكم ناصحٌ أمين)**.

القسم الثاني: صفات تخصهم، ولا يشترك معهم أحد من غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهي:

أ- الوحي: قوله الله تعالى (القرآن الكريم، ١٤٠٤، ٤٨٣) في سورة الشورى الآية ٣**(كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم)**.

وانقطع الوحيّ بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا نبيّ بعد نبيّنا صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى (القرآن الكريم، ١٤٠٤، ٤٢٣) في سورة الأحزاب الآية ٤٠ **(ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيئ عليماً)**، ومن إدعى النبوة بعده صلى الله عليه وسلم لا يخلو من أمرين:

الأمر الأول: إمّا أن يقول بأنّ الدين لم يكمل في زمن النبي صلى الله عليه ولم، وهو أتى لتكميله، ويردّ عليه القرآن (القرآن الكريم، ١٤٠٤، ١٠٧) في سورة المائدة جزء من الآية ٣ **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)**.

الأمر الثاني: أو يقول: أتى بشرع جديد مخالف لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، ويردّ عليه قوله تعالى (القرآن الكريم، ١٤٠٤، ٦١) في سورة آل عمران الآية ٨٥ (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين).

ب- العصمة: قوله الله تعالى (القرآن الكريم، ١٤٠٤، ٥٢٦) في سورة النجم، الآيتان ٣ ـ ٤**(وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)**. ذهب القاضي أبو بكر[١٩]، وأكثر المحققين إلى أنّه لا يمتنع على الأنبياء معصية كبيرة ولا صغيرة، ولا الكفر قبل البعثة، وأكثر المعتزلة والشيعة على امتناع ذلك، واستثنى المعتزلة الصغائر، وغاية متمسكهم أنّه هاضم لهم قاضٍ باحتقارهم، فينفر عن إتباعهم، وذلك خلاف الحكمة في بعثهم، وهو مبني على وجوب رعاية الأصلح.

والإجماع على عصمتهم بعد الرسالة عن الكفر، وعن تعمد الكذب في الأحكام لدلالة المعجزة على صدقهم، واختلفوا في جوازه غلطاً: فمنعه الأكثرون، وجوّزه القاضي بناءً على أنّ المعجزة دلت على الصدق مطلقاً، أو على الصدق إعتقاداً، وأمّا المعاصي غيرها:

Original Article | doi: 10.14500/kujhss.v2n1y2019.pp84-97

فإن كانت كبيرة أو صغيرة خسة فالعصمة ثابتة بالسمع عند الأشاعرة، وبالعقل عند المعتزلة إلا في الغلط، وإن كانت غيرها فالأكثر على جوازه عمداً وسهواً. (ابن الحاجب، ١٩٨٥م، ٤٧ ـ ٤٨).

ج- أنّهم أشد الناس بلاءً: قوله صلى الله عليه وسلم (إنّ من أشد الناس بلاءٍ الأنبياء ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم). (ابن حنبل، ١٩٩٤، ٦ / ٣٦٩، ـ الألباني، ١٩٩٥م، ١ / ١٣، ـ الطبراني، ١٩٨٥م، ٤ / ٩٠، ـ النسائي بشرح السيوطي والسندي، ١٩٣٠م، ٣/ ٣٠٧).

د- تأييدهم من الله تعالى بالمعجزات دالة على صدقهم في دعواهم، ولتميز المعجزة عن يد مدعي النبوة عن باقي الخوارق مثل السحر والكرامة والشعوذة، يجب أنْ تتوفر فيها هذه الشروط، وهي أن تكون:

١. من جهة الله تعالى.

٢. واقعةً عقب دعوى المدعي للنبوة، ومطابقةً لدعواه، ولا تكون مكذبةً له، فلو أنطق الضب فقال: إنّه كاذب لم يعلم صدقه، بل ازداد اعتقاد كذبه.

٣. خارقةً للعادة، ومقرونةً بالتحدي، ويتعذر معارضتها. (الهمداني، ١٩٩٦م، ٥٦٩ وما بعدها، ـ الكلنبوي على الدواني، ١٣١٩هـ، ٢/ ٢٢٧).

هـ. تنام أعينهم، ولا تنام قلوبهم، ففي حديث الإسراء عن طريق أنس رضي الله عنه (..... والنبيّ صلى الله عليه وسلم نائمة عيناه، ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم). (البخاري، ١٩٨٦م، رقم الحديث ٣٥٧٠، ٤ / ١٩١).

و. تخير الأنبياء عند الموت، قوله النبيّ صلى الله عليه وسلم (ما من نبيّ يمرض إلا خيّر بين الدنيا والآخرة). (البخاري، ١٩٨٦م، ٦ / ٤٦).

ي. لا يقبر نبيّ إلا حيث يموت، قال أبو بكر رضي الله عنه، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لن يقبر نبيّ إلا حيث يموت)، وأخّروا فراشه، وحفروا له تحت فراشه. (إبن حنبل، ١٩٩٤م، رقم الحديث٢٧، ١/ ٧، ـ الألباني، ١٩٩٥م، رقم الحديث ٤٢٧).

أأ. الأرض لا تأكل أجسادهم، قوله صلى الله عليه وسلّم: (إنّ الله حرم على الأرض أنْ تأكل أجساد الأنبياء). (الألباني، ١٩٩٥م، رقم الحديث ٣١٣، ٦ / ٤٣٣).

ب ب. إنّهم أحياء في قبورهم، قوله صلى الله عليه وسلم (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون). (الموصلي، ١٩٨٤م، رقم الحديث ٣٤٢٥، ٦ / ١٤٧).

٣,١,٤ رابعاً: شروط النبوة والرسالة:

يشترط أنْ يكون الأنبياء من الرجال (المقدسي كمال الدين، ٢٢٧)، خلافاً للأشاعرة، والقرطبي[٢٠]، وإبن حزم[٢١] حيث ذهبوا إلى أنّ الله تعالى أنعم على بعض النسوة بالنبوة، وهنّ: حواء، وهاجر، وأمّ موسى، وآسية، ومريم. (شيخ زاده، الطبعة الثانية، ٦٧).

وعدد الأنبياء والرسل المذكورون بأسمائهم في القرآن الكريم خمسة وعشرون نبيّاً ورسولاً، وهم: (آدم، ونوح، وإدريس، وإبراهيم، وهود، إسحاق، ويعقوب، وإسماعيل، ولوط، ويوسف، وموسى، وزكريا، ويحيي، وداود، وسليمان، عيسى، وأيوب، وذالكفل، وإلياس، ويسع، ويونس، وشعيب، وصالح، ونبيّنا محمد صلى الله عليهم وسلم).

وما ذكر في السنة النبويّة إلا اسم نبيّ واحد، وهو يوشع عليه السلام، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم (لم تحبس الشمس لأحد إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس). (الألباني،١٩٩٥م، ١ / ١٦، ـ إبن حنبل، ١٩٩٤م، ١٣ / ١٧٨).

ويشترط كونهم عليهم الصلاة والسلام أكمل أهل زمانهم عقلاً، وخلقاً، وفطنة، وقوة رأي، لأنّ منزلة الأنبياء من أممهم منزلة الشمس من القمر، ومنزلة علمهم من علوم أممهم منزلة ضوء الشمس من نور القمر، فكما أنّ القمر مقتبس من ضوء الشمس هو قاصر عنها، كذلك منزلة الأمم من أنبيائهم، ومنزلة علمهم من علومهم، وكما لا يحصل النور للقمر إلا بواسطة الشمس كذلك لا تحصل علوم الناس، وتزكية نفوسهم إلا بواسطة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. (الأصفهاني راغب، ١٩٨٨م، ١٢٣).

ويشترط أن يكونوا سليمينَ من دناءة الآباء وغمز الأمهات، والقسوة، والعيوب المنفرة كالبرص والجذام، وقلّة المروءة كالأكل على الطريق. (المقدسي كمال الدين، ٢٢٦).

٣,١,٥ خامساً: فائدة بعثتة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام:

فائدة بعثتهم يمكن أن نلخصها بشكل مختصر في هذه النقاط الآتية، وهي:

١. معاضدة العقل فيما يستقل بمعرفته مثل وجود الله تعالى.

٢. إستفادة الحكم من النبيّ فيما لا يستقل به العقل، مثل: رؤية الله يوم القيامة، والمعاد الجسماني.

٣. إزالة الخوف الحاصل عند الإتيان بالحسنات لكونه تصرفاً في ملك الله بغير إذنه، وعند ترك الحسنات لكونه ترك طاعة.

٤. بيان حال الأفعال التي تحسن تارة وتقبح أخرى من غير اهتداء العقل إلى مواقعها.

٥. بيان منافع الأغذية والأدوية، و مضارها التي لا تفي بها التجربة إلا بعد أدوار.

٦. تكميل النفوس البشرية بحسب إستعدادهم المختلفة في العلميات والعمليات.

٧. تعليم الصنائع الخفية من الخاصيات والضروريات.

٨. تعليم الأخلاق الفاضلة الراجعة إلى الأشخاص والسياسات الكاملة العائدة إلى المجتمع.

٩. الإخبار بتفاصيل ثواب المطيع، وعقاب العاصي ترغيباً في الحسنات، وتحذيراً عن السيئات. (التفتازاني، ١٩٨٩م، ٥ / ٦).

٣,١,٦ سادساً: المنكرون لبعثة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام:

الطاعنون في بعثة الأنبياء من الفرق الضالة منهم من ينكر النبوّة أصلاً، ولا يعترف ببعثة أحد من الأنبياء، ولا يقولون بوجود نبيّ، ومنهم من يعتقد أن النبوة مستمرة إلى يوم القيامة، ولم تختم برسول الله صلى الله عليه وسلم:

فالطائفة الأولى: وهم على أربعة أصناف:

الصنف الأول: ينونَ هذا الإنكار على القول بالجبر.

الصنف الثاني: زعمت البراهمة أنّ بعثة الأنبياء لا تليق بحكمة الله تعالى، وشبهتهم في ذلك مبنيّة على التحسين والتقبيح العقلين، وهي:

١. أنّ الله عزّ وجلّ حكيم، وكان من بعث رسولاً إلى من يدري أنّه لا يصدقه، فلا شكّ في أنّه متعنت عاين.

٢. بعث الرسل إلى الناس لإخراجهم من الضلال والكفر إلى الإيمان والهداية، فكان أولى به في حكمته، وأتمّ لمراده أن يضطر العقول إلى الإيمان به. (إبن حزم، ٢٠٠٥م، ١ / ٧٣،ـ الجويني، ١٩٥٠م، ٣٠٢ـ ٣٠٣).

الصنف الثالث: يقدحون في المعجزات، ويزعمون أنّ المعجزة ليست من الله تعالى بل يمكن أن تكون من الجنّ والشياطين، أو ظهرت بواسطة الأدوية بأن وجد نبيّ دواءً وقدر بواسطته ما لم يقدر عليه غيره من خوارق العادات. (فخرالدين الرازي، الطبعة الأولى، ٩٨).

الصنف الرابع: القائلون بتناسخ الأرواح مثل الصابئة، فلا يقولون ببعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. (الآمدي، ١٩٧١م، ٣١٨).

والطائفة الثانية:

القائلون بأنّ النبوّة مستمرة، منهم جماعة إخوان الصفا وخلان الوفا، فالنبيّ عندهم ليس أكثر من شخص فاضل تخلق بمحاسن الأخلاق، جانبَ سفاسفها، وساس نفسه حتى لا تغلبه شهوة، ثمّ ساق الخلق بتلك الأخلاق.

ومنهم الكرامية، إذ زعموا أنّ الرسالة والنبوة معنيان قائمان بالرسول والنبيّ غير إرسال الله إيّاه، وغير عصمته، وغير معجزته، وفرقوا بين الرسول والمرسَل بأن قالوا: أنّ الرسول من فيه ذلك المعنى، ومن كان ذلك فيه وجب على إرساله، والمرسَل هو الذي أرسله مرسِله. (البغدادي التميمي، ١٩٢٨م، ١٥٤).

ومنهم الدجالون الذين يأتون قبل ظهور المسيح الدجال وهم ثلاثون دجالاً منذ ظهور، مسيلمة الكذاب إلى دجال العصر من القاديانيين أتباع الكذاب ميرزا غلام أحمد.

ومن الذين قالوا بهذا الرأي: جمال الدين الأفغاني، في محاضرة ألقاها في جمع حاشد في رمضان سنة ١٢٨٧هـ في دار الفنون للحث على الصناعات ممّا سبب غضب علماء أستانبول لا سيما الشيخ حسن فهمي أفندي وقاموا بطرده من المدينة، (المبارك حسن، موقع صيد الفوائد)، وتبعه في ذلك تلميذه محمد عبده حيث قال في حاشيته على الدوانية: قد يعرف النبيّ بإنسان فطر على الحق علماً وعملاً أن يبحث لا يعلم إلا حقاً، ولا يعمل إلا حقاً على مقتضى الحكمة، وذلك يكون بالفطرة أي لا يحتاج إلى الفكر والنظر ولكن التعليم الإلهي. (عبده، الطبعة الأولى، ٣).

٣,٢ المطلب الثاني: الإيمان بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام عند ـ إخوان الصفا ـ:

الإيمان عند إخوان الصفا ليس مما أمر الله تعالى به من الإعتقاد الجازم بالله تعالى ملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وبالقضاء والقدر خيره وشرّه من الله تعالى، بل الإيمان هو علم النفس بأنّ لها خلوداً، وهذا هو حد الإيمان عندهم، فالإيمان بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليس من الواجبات الشرعية على الناس، وليس ركنا من أركان الإيمان ليكون سبباً لدخول الجنّة، حيث قالوا:

٣,٢,١ فصل في شرح معنى الكفر:

إذا إستقرت النفس في الجهالة تغطى عليها ذاتها، وذهب عليها معرفة جوهرها، وتنسى مبدأها، ولا تذكر أمر معادها، حتى تبلغ من جهالتها إلا تعلم بأنّ لها وجوداً خلوداً من الجسد، حتى تظنّ أنّها جسم لطيف، ويقول كثير ممن يتعاطى النظر في العلوم وهو قولهم: إنّ الإنسان هو: هذا الجسد الطويل العريض العميق المؤلف من اللحم والدم، ولا يدرون أنّ مع هذا الجسد جوهراً آخر وهو المحرك له، وهي النفس المظهرة به، ومنه أفعالها). (إخوان الصفا، pdf، ٤١٣).

ينفون عن الله تعالى صفة الإرادة والمشيئة، ويثبتون القدم للعالم، فالعالم صادر عنه عن طريق الفيض فاض عن الله تعالى، وليس بمشيئته وإرادته، واختياره، وأنّ خالق عالم العناصر هو الفلك العاشر أي فلك القمر، وليس الله تعالى، وقد بيّنوا ذلك في مواضع كثيرة في رسائلهم.

*فلا يؤمنون بوجود الملائكة حتى ينزلوا بالوحي على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولا يؤمنون بوجود الجنّ، بل الملائكة عندهم النفوس الخيّرة، والشياطن النفوس الشريرة، كما قال بذلك فلاسفة اليونان، فقالوا:

٣,٢,٢ فصل في ماهية الشياطين، وجنود إبليس أجمعين:

إعلم أنّ النفوس المتجسدة الخيّرة ملائكة بالقوة، فإذا فاقت أجسادها كانت ملائكة بالفعل، كما بيّنا في رسالة صفات المؤمنين المحققين، ورسالة البعث، كذلك النفس المتجسدة الشريرة هو الشياطين بالقوة، فإذا فارقت أجسادها كانت شياطين بالفعل، فهذه النفوس الشيطانية بالفعل توسوس للنفوس الشيطانية بالفعل لتخرجها إلى الفعل). (إخوان الصفا، pdf، ٤٢٢).

ويفسرون حملة العرش من الملائكة بالكواكب الثابتة، فلا يعتقدون بأنّهم من الملائكة، فقالوا:

(إنّ الملائكة الحافين بالعرش هم حملة العرش وهي الكواكب الثابتة لفلك التاسع من داخله، كما يحف الحاج بالبيت في طوافهم من خارجه، فهم يسبحون بحمد ربّهم). (إخوان الصفا، pdf، ٢٤٣).

*ولا يؤمنون لا بالجنّة التي بشر بها الأنبياء عليهم السلام الصالحين من أممهم، ولا بالنار التي خوف بها الأنبياء عليهم السلام العاصين من أمتهم، فالثواب والعقاب الأخرويان يكونان بالأرواح لا بالأجساد، ويذكرون ذلك في غير موضع، وأنا أذكر فقرة فقط لا غير حتى لا تأخذكم السآمة، فقالوا:

٣,٢,٣ فصل في معنى القيامة:

إعلم بأنّ النفس إذا فارقت هذا الهيكل فلا يبقى معهان ولا يصحبها من آثار هذا الجسد إلا ما إستفادت من المعارف الربّانية، والأخلاق الجميلة الملكية، والآراء الصحيحة المنجية، والأعمال الصالحة الزكية المرضية المربحة، وذلك أن تبقى هذه الأشياء في النفس مصورة في ذاتها إذا كانت معتادة لها صورة روحانية نيّرة بهيّة، كلما لا حظت النفس ذاتها ورأت تلك الصورة فرحت بها، وامتلأت سروراً في ذاتها، وفرحاً ولذّة، وذلك ثوابها ونعيمها بما أسلفت في الأيام الخالية، وأمّا إذا كانت أخلاقها رديئة سيئة بشيعة، وآرؤها فاسدة، وأعمالها موبقة، وجمالاتها متراكمة بقيت عمياء عن رؤية الحقائق، وتبقى هذه الأشياء في ذاتها مصورة صورة قبيحة سمجة، فكلما لا حظت ذاتها ونظرت إلى جوهرها رأت ما يسوؤها، وتريد الفرار منه، وأين المفرّ من ذاتها). (إخوان الصفا، pdf، ٢٠٤).

*فقامت عقيدة إخوان الصفا بشكل كليّ من الإيمان بالله تعالى، والكتب، والأنبياء، والملائكة، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، على أساس التوفيق بين الدين والفلسفة، ولهذا الغرض ألفوا رسائلهم، فعندما يستدلون على قول يجمعون فيه بين أقوال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والفلاسفة، وهم يرون أنّ جميع الأديان والمذاهب هدفها واحد وإن وجد إختلاف في مسائلها، فهذا لا يعني التناقض، ولا يوجب الخلاف، حيث قالوا:

(لا نعادي علماً من العلوم، ولا نتعصب على مذهب من المذاهب، ولا نهجر كتاباً من كتب الحكماء والفلاسفة مما وضعوه، وألفوه في فنون العلم، وما إستخرجوه بعقولهم وتفحصهم من لطيف المعاني، وأمّا معتمدنا ومعولنا وبناء أمرنا فعلى كتب الأنبياء صلوات الله عيهم أجمعين، وما جاؤوا به من التنزيل، وما ألقت إليهم الملائكة من الأنباء والإلهام والوحي). (إخوان الصفا،pdf ، ٦٨٩).

Original Article | doi: 10.14500/kujhss.v2n1y2019.pp84-97

*وهم يرون أنّ أرفع منزلة يرتفع إليها الإنسان على الإطلاق هي منزلة الأنبياء، لكنهم لا يؤمنون بختم النبوة، ولا خاتم الأنبياء، فكل من اجتمعت فيه ست وأربعون خصلة من فضائل البشرية في وقت من الأوقات فهو المبعوث وصاحب الزمان، و ذكرنا ذلك فيما سبق.

فالناظر إلى رسائلهم لا يرى أنّهم يقولون بالفرق بين النبيّ والرسول من حيث الاصطلاح، فكلاهما بمعنى واحد عندهم، ولا يقولون بحصر الأنبياء والرسل في عدد معيّن، بل النبوّة مستمرة من لدن آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، و يزعمون أنّ دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن سبق من الأنبياء كانت إلى عليّ رضي الله عنه، وهو مرسِل الرسل، هو أفضل من النبيّ صلى الله عليه وسلم، بل كان مولى له وهو عبده والعياذ بالله.

*ومن خلال نظري في رسائلهم، ودراستي فيما ذهبوا إليه من الآراء حول إيمان إخوان الصفا بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والوحي النازل عليهم تبيّن لي رأيهم في ذلك كالآتي:

١. لا يؤمنون بأنّ النبوّة باختيار الله تعالى واصطفائه بعض عباده، بل النبوّة مكتسبة عندهم، فالإنسان يستطيع أن يصبح نبيّاً بعد الارتياض والمجاهدة، إذ قالوا: (إذا إجتمعت هذه الخصال في واحد من البشر في دور من الأدوار القرانات في وقت من الزمان فإنّ ذلك الشخص هو المبعوث، وصاحب الزمان). (إخوان الصفا، ٤/ ١٢٩). وزعمهم هذا مخالف للكتاب والسنة، بل النبوّة وعلومها هبة ومنحة ربّانية لا تنال بالكسب والمجاهدة، وقد فتحوا بهذا الزعم الكاذب باب الشرّ، فأصبح كلّ من رآى في نفسه خيراً، وكلّ من أراد بهذه الأمّة شرّاً يزعم أنّه نبيّ، وأنّه يأخذ علومه عن الله بواسطة الوحيّ من الله تعالى، وهذا ضلال كبير، فليس لأحد من هذه الأمّة أن يزعم أنّه نبيّ، لأنّه لا نبيّ بعد نبيّنا صلى الله عليه وسلم. وقد وضع إخوان الصفا الأساس لمن جاء بعدهم من الفلاسفة، وفلاسفة التصوف حيث نهجوا نهجهم، بل ازدادوا عليهم، حتى زعم بعض المتصوفة أنّ الولاية أفضل من النبوّة، وزعم هؤلاء أنّ خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء، وقد ألف في ذلك الحكيم الترمذي[٢٢] كتاباً سمّاه ـ خاتم الأولياء ـ.

وهؤلاء كذبوا فيما ذهبوا إليه، فلم يرد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أنّ هناك خاتماً للأولياء، ولم يرد أنّه أفضل من غيره من الأولياء فضلاً عن أن يكون خيرهم، ولم يتكلم في هذه المسألة أحد من الصحابة والتابعين، ولا الذين لهم باعٌ في العلم ممن يقتدى ويتأسى بهم.

٢. لا يقرّون بأنّ القرآن النازل على النبيّ صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام كلام الله تعالى، فهم متناقضون ومضطربون في ذلك، تارة يقولون:

أ- هو فيض يفيض من أحد العقول العشرة وهو العقل الفعّال على نفس النبيّ صلى الله عليه وسلم، فإذاً فسروا العقل بجبريل عليه السلام الذي ليس على الغيب بضنين أي بخيل لأنّه فياض، لأنّ جبريل عند الإسماعلية ليس بملك، بل هو عبارة عن أحد العقول العشرة، فالقرآن ليس بكلام الله تعالى، لأنّ المرسِل هو جبريل عليه السلام، وهذا القول إستمداد من الفلسفة الأفلاطونية، وامتداد لقولهم في مسألة الألوهية، حيث قالوا:

(إعلم أنّ الشريعة الإلهية هي جبلة روحانية تبدو من نفس جزئية في جسد بشري بقوة عقلية تفيض عليها من النفس الكليّة بإذن الله تعالى، في دور من الأدوار والقرآنات، وفي وقت من الوقات لتجذب بها النفوس الجزئية، وتخلصها من أجساد بشرية متفرقة ليفصل بينها يوم القيامة). (إخوان الصفا، ٤ / ١٢٩).

ب- تارة يقولون: أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم تعلم من البشر، وليس من جبريل عليه السلام، أو تعلم عن الخيال، فقالوا:

(كان العقل العاشر هو المُحدِث لمحمد صلى الله عليه وسلم المؤيد له الناظر إليه المدد له بواسطة الجدّ والفتح والخيال عند كماله وبلوغه رتبة الحجابية، لأنّ كل ناطق ووصي وإمام لا بدّ له من التعليم والترقي رتبة رتبة كما قال الله تعالى (القرآن الكريم، ١٤٠٤هـ، ٢٧٥) في سورة النحل الآية ٧٨ {**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون**}، فكان رسول الله آخذاً من أبيّ بن كعب[٢٣] في حال تعليمه إبتداءً وهو المكني عنه بجبريل). (إخوان الصفا، pdf، ١٤٣).

ج- أو أنّ القرآن من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم المركب من خطرات النفس، إذ قالوا:

(إنّ القبول قبولان: قبول سمع وقبول وهم، فالقبول السمعي: يكون بالكلام، والقبول الوهمي: يكون بالخطرات، والكلام يكون من التكلم في الآت الكلام، الخطرات من متفكر في خزائن العقل، فصح من هذه الجهة أنّ قبول الرسل قبول وهمي يخطر في أفئدتهم، وما أرسلوا به، ثمّ يؤدون إلى الأمم بلسانهم ولغتهم إثبات النبوءات). (إخوان الصفا، pdf، ١٤٧ ـ ١٤٨).

٣. ويزعمون أنّ القرآن ما هو إلا رموز للحقائق البعيدة عن الأذهان العامة، ويقولون أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم يخبر خواص أمّته بما جاء به، وإعتقده بالتصريح في السرّ والعلن غير مرموز ولا مكتوم، ثمّ يشير إليها ويرمز عنها عند العوام بالألفاظ المشتركة، والمعاني المحتملة للتأويل بما يعقلها الجمهور، وتقبلها نفوسهم. (إخوان الصفا، pdf، ٤١٤).

٤. يتهمون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالسحر، حيث خصصوا موضوعاً خاصاً بذلك، تحت عنوان: سحر السيّد المسيح، (إخوان الصفا، pdf، ٨١٠)، ومعجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فتسليم الحجر، وسعي الشجر إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، وحنين الجذع، ونبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم بالمشاهدة، وغير ذلك من المعجزات حيل، ومخاريق.

وردّ قولهم بالإيجاز في جميع ما قالوه حول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

أنّ الله تعالى شرّف الإسلام، وأوضح حجته، وقطع العذر بالأدلة، ويكفي في ذمّ هؤلاء، والمنتسبين لهم أنّهم جعلوا أفكارهم مستوحاة من أفكار فيثاغورس، والعقائد الأفلاطونية، وفلسفة المشائين، والفرس والهند كما بيّناه، وما أتوا على صحة دعواهم بدليل من الكتاب والسنة، بل أغلب رسائلهم فيها من الخرافات تأبها العقول النيّرة السليمة.

٤. الخاتمة

أهمّ ما توصلت إليه من نتائج في بحثي هذا ما يأتي:

١. جماعة إخوان الصفا جماعة باطنية أسست وأنشأت لهدم الدين، وتشويش العقيدة لدى المسلمين، وخير دليل على ذلك ما قالوه في رسائلهم، لا إفتراءً

عليهم ولا تقولاً، فهم يخالفون المسلمين في أركان إيمانهم بالله، وبالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وبالملائكة، وبالكتب، وباليوم الآخر.

٢. أعداء الدين والأمة يستفيدون دائماً من اختلاف المسلمين فيما بينهم، فتنشأ وتظهر تلك الفرق الضالة بشبهاتهم الباطلة تشويشاً على المسلمين في عقديتهم الصحيحة النقية.

٣. إنّ ديننا هذا محفوظ بحفظ الله تعالى، وهذا لا يجعلنا أن نجلس مكتوفي الأيدي بدون أن نعمل شيئاً، فعلى العالم أن يبيّن شبه المبطلين، وتأويل الغالين، ليكون المؤمن على بصيرة من دينه، وراسخاً في عقيدته، ويؤمن إيماناً جازماً بأنّ دين الله تعالى هو الحق المطلق.

٤. حقية ديننا، و واقعيته، وصدقه جعلت الشبهات أمام شرع الله تعالى خرافية وباطلة وزائفة، والنظر في هذه الشبهات بتأمل من النقل الصحيح وصريح العقل يظهر بطلانها، وهي كسراب بقيعة يحسبها الظمآن ماءً.

٥. الإيمان بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ركن من أركان الإيمان، فعلى المؤمن أن يذعن ويسلم بما قاله الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وما جاءوا به من الشرائع والأحكام ليس فيها ما يخالف العقل السليم، وإلا لما صمد أمام هذه الشبهات.

٦. هناك من في زماننا هذا من المسلمين يروجون أفكار هذه الجماعة الباطنية بإسم المنورين، واليسار الإسلامي، والإصلاحين، وهم لا يدرون أنّ ما قاله إخوان الصفا منقول من الفلاسفة القدامى المنكرين لوجود الله تعالى، ووجود البعث والحساب.

٧. صحة عقيدتنا وخلاصنا من الضلال لا يكون إلا بالتمسك بالكتاب والسنة، فمن زاغ عنها هلك وإنحرف.

٥. المصادر والمراجع:

(الرازي فخرالدين محمد بن عمر)، معالم أصول الدين، لفخر، الطبعة الأولى، مصر، المكتبة الحسينية المصرية، إدراة محمد أفندي عبد اللطيف النصيف: (١).

(الشيخ زاده عبد الرحيم بن علي)، نظم الفرائد وجمع الفوائد، الطبعة الثانية، مصر، مطبعة التقدم بشارع محمد علي: (١).

(المقدسي الشافعي كمال الدين بن محمد المعروف بإبن أبي شريف)، المسامرة بشرح المسايرة، القاهرة ـ مصر، المطبعة التجارية الكبرى شارع محمد عليّ، مطبعة دار السعادة: (٢).

(رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا لجماعة من فلاسفة المسلمين)، بيروت ـ لبنان، منشورات: صادر، (٩)، / وإعتمدت كذلك على النسخة الموجودة في pdf: (٢٠).

(عبده، محمد عبده)، حاشية محمد عبده على الدوانية، الطبعة الأولى، تحقيق د. سليمان دنيا، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه: (١).

إبن أثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد المتوفى سنة ٦٣٠هـ، ١٩٩٨م، الكامل في التأريخ، حققه وإعتنى به الدكتور عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي: (١).

إبن حاجب إبن عمر عثمان بن عمرو بن أبي بكر، ١٩٨٥م، منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية: (١).

إبن حزم الأندلسي، ٢٠٠٥م، الفصل في الملل والأهواء والنحل، حققه عادل بن سعد، القاهرة، دار إبن الهيثم: (١).

إبن حنبل الإمام أحمد، سنة ١٩٩٤م، مسند الإمام أحمد، بيروت، الناشر مؤسسة قرطبة بالقاهرة: (٣).

إبن خلكان أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، ١٩٩٨م، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. يوسف علي طويل، د. مريم قاسم طويل، بيروت، دار الكتب العلمية: (٦).

إبن فرحون المالكي، ١٩٩٦م، الديباج المذهب في تراجم أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون الجنان، بيروت، دار الكتب العلمية: (١).

إبن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ٢٠٠٦م، البداية والنهاية، تحقيق جوده محمد جوده، محمد حسنى شعراوي، القاهرة، دار إبن الهيثم: (٥).

الأشعري أبو الحسن، ١٤١٧هـ، رسالة إلى أهل الثغر، تحقيق عبد الله شاكر محمد، مكتبة العلوم والحكمة، المدينة المنورة: (١).

الألباني محمد ناصر الدين، ١٩٩٥م، سلسلة الأحاديث الصحيحة، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد: (٤).

الآمدي سيف الدين، ١٩٧١م، غاية المرام في علم الكلام، تحقيق حسن محمد عبدا للطيف، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي: (١).

البخاري الإمام محمد بن إسماعيل، ١٩٨٦م، التأريخ الصغير، الطبعة الأولى، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة: (١).

البخاري محمد بن إسماعيل، ١٩٨٦م، الصحيح الجامع، بيروت، دار إحياء التراث العرب: (٣).

بعد القرآن الكريم: ١٤٠٤هـ، دمشق، دار الكلم الطيب: (١٧).

البغدادي إسماعيل باشا، ١٩٥١م، هدية العارفين، بيروت ـ لبنان، دار إحياء التراث العربي: (٢).

البغدادي التميمي أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر، ١٩٢٨م، أصول الدين، الطبعة الأولى، مطبعة الدولة، أستانبول: (١).

البيهقي ظهير الدين، ٢٠١٥م، تتمة صوان الحكمة، شركة التراث: (١).

تابكي جمال الدين أبو المحاسن يوسف تابكي، ٢٠١٠م، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، مطبعة الثقافة والإرشاد المصرية: (١).

التفتازاني سعدالدين مسعود بن عمر بن عبد الله، ١٩٨٩م، شرح المقاصد، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، بيروت، عالم الكتب: (٢).

التميمي محمد بن خليفة، ١٩٩٧م، مقالة التعطيل والجعد بن درهم، الرياض، مطبعة أضواء السلف: (١).

Original Article | doi: 10.14500/kujhss.v2n1y2019.pp84-97

التوحيدي أبو حيان، ٢٠١٥م، الإمتناع والمؤانسة، بيروت ـ لبنان، منشورات دار الأندلس: (١).

الجويني، ١٩٥٠م، كتاب الإرشاد، مصر، مطبعة الخانجي: (١).

حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله القسطنطيني، ١٤١٣هـ، كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية: (١).

د مصطفى غالب، ١٩٧٩م، إخوان الصفا، بيروت، منشورات دار، ومكتبة الهلال: (٥).

الذهبي الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ١٣٨٨هـ، تذكرة الحفاظ، الطبعة الرابعة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن: (١). / الذهبي: ٢٠٠٨م، سير أعلام النبلاء، بيروت، مؤسسة الرسالة، / الذهبي: شرح الموقظة في علم الحديث، ٢٠١١م، تحقيق محمود بن محمد بن مصطفى الميناوي، بيروت، لبنان: (١).

الراغب الأصفهاني أبو الحسين القاسم بن محمد بن الفضل، ١٩٨٨م، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، تحقيق د. عبد المجيد النجار، بيروت، دار المغرب الإسلامي: (١).

الزركلي خير الدين، ٢٠٠٧م، الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين، بيروت ـ لبنان ـ دار الملايين: (١٢).

السفاريني الحنبلي شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم، سنة الطبع ١٩٨٢م، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار لشرح الدرّة المضيئة في عقد الفرقة المرضية، الطبعة الثانية، دمشق، مؤسسة الخافقين ومكتبتها: (٣).

السيوطي الحافظ جمال الدين،١٩٩١م، السنن الكبرى للنسائي بشرح السيوطي، وحاشية الإمام السندي، بيروت ـ لبنان، دار الكتاب العرب: (١).

الشوكاني محمد بن علي، ١٩٩٩م، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق عبد الرحمن المعلمي، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية: (١).

صفحة الشيخ محمد بن حسن عبد الله المبارك، عنوان البحث: آية الله مازندراني، موقع: صيد الفوائد.

الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك، ٢٠٠٠م، الوافي بالوفيات، بيروت، دار إحياء التراث العربي: (٥).

الصلابي علي بن محمد، ٢٠٠٦م، السلاجقة، بيروت، دار إبن كثير دمشق: (١).

الطبراني الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد، ١٩٨٥م، المعجم الكبير، حققه، وخرّج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، العراق، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العراقية (١).

العجلوني إسماعيل بن محمد، ١٣٥١هـ، كشف الخفاء ومزيل الإلتباس عمّا إشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، دار إحياء التراث العربي: (١).

العسقلاني أحمد بن حجر، ٢٠٠٢م، لسان الميزان، المحقق عبد الفتاح أبو غدة، بيروت، مكتب المطبوعات الإسلامية: (٢)، العسقلاني إبن حجر، ٢٠٠٤م، ـ الإصابة في تميز الصحابة، ٢٠٠٤م، حقق أصوله: خليل مأمون شيحا، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة: (١).

الفيروزآبادي محمد بن يعقوب، ١٤٠٧هـ، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، الطبعة الأولى، تحقيق محمد مصري، دار النشر جمعية إحياء التراث الإسلامي: (١).

القرشي إدريس عماد الدين، ١٩٨٤م، عيون الأخبار وفنون الآثار السبع الرابع، تحقيق مصطفى غالب، بيروت ـ لبنان، منشورات دار الأندلس: (١).

القفطي جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، ٢٠٠٥، أخبار العلماء بأخيار الحكماء، المحقق إبراهيم شمس الدين، بيروت: (١).

الكلنبوي الشيخ إسماعيل، سنة الطبع ١٣١٩هـ، حاشية الشيخ إسماعيل الكلنبوي على شرح جلال الدواني، مطبعة در سعادت: (١).

محمد أمحزون،٢٠١٠م، الفرق الباطنية، مطبعة مكانس، الطبعة الأولى، المغرب: (١).

محمد بن درويش بن محمد، ١٩٨٣م، أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان: (١).

المرتضي الزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، ٢٠٠٨م، تاج العروس من جواهر القاموس، الناشر طبعة الكويت: (١).

الموصلي أبي يعلي أحمد بن علي بن مثنى، ١٩٨٤م، مسند أبي يعلى الموصلي، الطبعة الأولى، تحقيق حسين سليم أسد: (١).

النيسابوري مسلم بن حجاج، ١٣٣٠هـ، الصحيح الجامع، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت ـ لبنان، دار التراث العربي: (١).

الهمداني القاضي عبد الجبار، ١٩٩٦م، شرح أصول الخمسة، تعليق أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، تحقيق عبد الكريم عثمان، القاهرة، مكتبة الوهبة: (١).

الهندي محمد طاهر بن علي الصديقي، ١٣٤٣هـ، تذكرة الموضوعات، الطبعة الأولى، الناشر الطباعة المنيرية: (١).

الهيتمي إبن حجر أحمد شهاب الدين المكي، ١٤٢٧هـ، الفتوى الحديثية، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى الحلبي: (٣).

[١] وهو: علي بن محمد بن العباس التوحيدي، أبو حيان، فليسوف، متصوف، معتزلي، ولد في شيراز، وأقام مدّة ببغداد، وإنتقل إلى الريّ، ومات مستتراً حوالي سنة ٤٠٠هـ، عن نيف وثمانين عاماً. ينظر الزركلي، ٢٠٠٧م، ٢ / ٣٤١.

[٢] أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان، بينه وبين الصاحب بن عباد مودة، فكان إبن سعدان يخاطب الصاحب بالصاحب الجليل، والصاحب يخاطب إبن سعدان بالأستاذ ومولاي ورئيسي. ينظر إبن الأثير، ١٩٩٨م، ٤ / ٩٣، ــ تابكي أبو المحاسن، ٢٠١٠م، ١ / ٤٣٧.

[٣] قتل على يدي ولده المنتصر، ليلة الأربعاء لأربع خلون من شوال. ينظر إبن كثير، ٢٠٠٦م، ١٠ / ٢٣٩.

[٤] مؤسس الدولة البويهية:

أ- عماد الدولة أبو الحسن.

ب- ركن الدولة أبو علي الحسن.

جـ معزّ الدولة أبو الحسين أحمد، ثلاثتهم أولاد: أبي شجاع بوية بن فناحشرو بن تمام، يزعمون أنّهم من ولد يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الفرس. ينظر إبن خلكان، ١٩٩٨م، ١ / ٣٦٩ ـ ٣٧٠.

[٥] أبو عبد الله بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد سنة ثمانين للهجرة، ولقب بالصادق لصدقه في مقالته، وفضله أشهر من أن يذكر، توفي في شوال سنة ثمانٍ وأربعين ومائة بالميدنة المنورة، ودفن بالبقيع مع جدّه محمد الباقر، وجدّه علي بن الحسين رضي الله عنهم أجمعين. ينظر إبن خلكان، ١٩٨٩م، ١ / ٣٠٧.

[٦] وهو: النعمان بن محمد بن منصور بن حيون التميمي، من أركان الدعوة لفاطميين ومذهبهم بمصر، ولد بقيروان، ونشأ بها، وتوفي بمصر سنة ٣٦٣هـ. ينظر الزركلي، ٢٠٠٧م، ٨ / ٤١.

[٧] وهو: علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، ولد بالقاهرة سنة ٧٣٥هـ، وتوفي بها سنة ٨٠٧هـ. ينظر الزركلي، ٢٠٠٧م، ٤ / ٢٦٦.

[٨] وهو: مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبد الله المجريطي، فيلسوف، كان إمام الرياضيين بالأندلس، ولد بمجريط ــ إسمها الحالي ـ مدريد ـ عاصمة إسبانيا ـ، سنة ٣٣٨هـ ـ ٩٥٠م، وتوفي بها سنة ٣٩٨هـ ـ ١٠٠٧م. ينظر الزركلي، ٢٠٠٧م، ٧ / ٢٢٤.

[٩] جدّه: وائل بن هاشم بن سُعَيد، أسلم قبل الفتح، في صفر سنة ثمانٍ، وإسلامه كان على يد النجاشي وهو بأرض الحبشة، توفي سنة ثلاث وأربعين، وكان شديد الحياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يرفع طرفه إليه، رضي الله عنه. ينظر العسقلاني، ٢٠٠٤م، ٢ / ١٣٤٠، وما بعدها.

[١٠] من أهل أدفو بصعيد مصر، ولد سنة ٣٠٤هـ، ومات بالقاهرة سنة ٣٨٨هـ. ينظر الزركلي، ٢٠٠٧م، ٦ / ٢٧٤.

[١١] ما عثرت على ترجمته

[١٢] وهو: زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة، أبو الخير الهاشمي، كان في الريّ، وأقام بالبصرة زمناً طويلاً، وإعتقد رأي الفلاسفة، مات سنة ٤٠٠هـ.ينظر الزركلي، ٢٠٠٧م، ٣ / ٥٩.

[١٣] وهو: أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن بن محمدي البغدادي، صاحب التصانيف، أحد الحفاظ المؤرخين المقومين، الإمام محدث الشام والعراق، ولد سنة ٣٩٢هـ، وتوفي يوم الثلاثاء، سابع ذي الحجة من سنة ٤٦٣هـ، ودف بجنب قبر بشر الحافي ببغداد. ينظر الذهبي، سنة النشر ١٣٨٨هـ، ٣ / ١١٣٥ وما بعدها، / الذهبي، ٢٠٠٨م، ١٨ / ٢٧ وما بعدها.

[١٤] أبو الفضل، شهاب الدين: أحمد بن عليّ بن محمد الكناني العسقلاني، من أئمة العلم والتأريخ، أصله من عسقلان بفلسطين، ولد بالقاهرة سنة ٧٧٣هـ، وتوفي بها سنة ٨٥٢هـ. ينظر الزركلي، ٢٠٠٧م، ١ / ١٧٨.

[١٥] أحد البلغاء والفصحاء، وكان له إختصاص بالمأمون، وقال الخطيب: كان يرمى بالزندقة، وله كتب في الحكم والأمثال. ينظر العسقلاني، سنة النشر ١٩٧١م، ٦ / ٢٩٦، ـ / الصفدي، سنة النشر ٢٠٠٠م، ٦ / ٤٥٤.

[١٦] ما تكلموا في رسائلهم عن معنى النبي والرسول من الناحية اللغوية والإصطلاحية كما بحثها أهل السنة والجماعة، لأنّ النبي عندهم غير مشروط بنزول الوحي عليه، ولا يقولون بثبوت الشرع له، ونزول كتاب عليه، كما سأبيّن ذلك عما قريب إن شاء الله تعالى، بل كلّ إنسان مصلح، أو فيلسوف فهو نبيّ عندهم، والرسول صلى الله عليه وسلم ليس خاتماً للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فلا يقولون بإنقطاع الوحي.

[١٧] لأنّ بحثنا في مفهوم النبوة والرسالة عندهم، نتكلم عن الرئاسة الروحية فقط، وهي رئاسة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، مجانباً الكلام عن الرئاسة الجسمانية عندهم، لئلا يطول الكلام، ونخرج عن الموضوع.

[١٨] إبن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد قبل الهجرة بثلاث، وتوفي سنة ثمانٍ وستين، ودفن بالطائف رضي الله عنه. ينظر العسقلاني، سنة النشر ٢٠٠٤م، ٢ / ١٠٧٤ وما بعدها.

[١٩] وهو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم البصري صاحب التصانيف، توفي في ذي القعدة سنة ثلاث وأربع مائة، وصلى عليه إبنه، ودفن بمقبرة باب الحرب. ينظر إبن فرحون المالكي، سنة النشر ١٩٩٦م، ١ / ١٤٢ ـ ١٤٣، ـ/ الصفدي، ٢٠٠٠١م، ١ / ٣٧٠، ـ / إبن خلكان، ١٩٩٨م، ٤ / ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

[٢٠] وهو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي، من أهل قرطبة، توفي بمصر سنة ٦٧١هـ. ينظر الزركلي، ٢٠٠٧م، ٥ / ٣٢٢.

[٢١] وهو: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد، ولد سنة ٣٨٤هـ بقرطبة، وتوفي في بادية ـ لَبلة ـ من بلاد الأندلس سنة ٤٥٨هـ. ينظر الزركلي، ٢٠٠٧م، ٤ / ٢٥٤.

[٢٢] وهو: محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، باحث صوفي، من أهل ترمذ، فضّل الولاية على النبوة، وكان يقول للأولياء خاتم كما للأنبياء خاتم، توفي سنة ٣٢٠هـ. ينظر الزركلي، ٢٠٠٧م، ٦ / ٢٧٢.

[٢٣] جدّه قيس بن عبيد بن زيد بن النجار الأنصاري، كان من أصحاب العقبة الثانية، شهد بدراً، والمشاهد كلها، توفي في خلافة سيدنا عثمان سنة ثلاثين، رضي الله عنهم. ينظر إبن حجر، ٢٠٠٤م، ١ / ٢٠ ـ ٢١.